Année ; annéeNo 911

Le Caire - 18 — 12 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١١ «القاهرة في يوم الاثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ — ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥٠» — السنة الثامنة عشرة

كيف نحتفي بذكرى مولد الرسول؟

للأستاذ محمود أبو رية

ماذا أقول في وصف هذا المصلح الأعظم لهذا الكون العظيم؟

إن كبار الأدباء، ومصاقع الخطباء، وفحول الشعراء، ليتولاهم البهر، ويدركهم الحصر، إذا هم أخذوا في وصف زعيم من الزعماء، أو عظيم من العظماء، على أن يكون هذا العظيم لأمة واحدة، وفي عصر واحد، وفي ناحية من العظمة بخصوصها، إما في العلم، أو في الأدب، أو في السياسة، أو في غير ذلك، والأمم كثيرة، والعصور متطاولة، ونواحي العظمة فسيحة مترامية! فما الحكم إذا كان الكلام في عظيم الدهر ومصلح العالم كله، في الدين والأدب والسياسة والأخلاق والفضائل، وما شئت من صفات الكمال البشري.

كنت أود أن أكون شاعراً مفلقاً واسع الخيال فأحملكم على أجنحة خيالي إلى عرش البهاء الروحاني لذات الرسول صلوات الله عليه لتستمتعوا فيه بلحظة. أو كاتباً بليغاً مرهف الحس فأنقلكم بيراعتي إلى روض البيان الوشي بالأزاهر والأنوار لتتنسموا عبيره هنيهة بالعبق والأريج من صفاته (ص)

كنت أود ذلك ولكن ماذا أصنع وقد بهرني سمو مقامه (ص) فلم أستطع أن أقول فيه قولا يبلغ بي ما أريد، ذلك بأن كل قول مهما سما في البلاغة وعلا في البيان، لا يمكن أن يبلغ من وصفه شيئاً؟ وهل يستطاع وصف من بعثه الله ليكون نور الوجود كله على مد العصور كلها! ذلك الذي قال فيه أستاذنا الإمام محمد عبده في وصفه به: «أمي قام يدعو الكاتبين إلى فهم ما يكتبون ويقرأون، وحيد من مدارس العلم صاح بالعلماء ليمحصوا ما كانوا يعلمون، في ناحية من ينابيع العرفان جاء يرشد العرفاء، ناشئ بين الواهمين جد لتقويم عوج الحكماء، غريب في أقرب الشعوب إلى سذاجة الطبيعة وأبعدها عن فهم نظام الخليقة والنظر في سننه البديعة، أخذ يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة، ويخط للسعادة طرقاً لن يهلك سالكها ولن يخلص تاركها».

لما أدركني العجز رأيت أن أرجع إلى غيري ممن هم أسبق مني بياناً، وأقوى على القول سلطاناً، لأستعير منهم درراً مما قالوا في هادي الإنسانية كلها. ولا عاب في ذلك (فالمتطفل) مستعير! فالتمست طلبتي عند البلغاء من المتقدمين والمتأخرين فوجدتهم جميعاً

على رائع ما قالوا، وبديع ما وصفوا لم يبلغوا شيئاً من وصف حقيقته، ألهم إلا أبياتاً للبوصيري رحمه الله وها هي ذي:

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد حا
ل سنى (١) منك دونهم وسناء (٢)
إنما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصـ
در إلا عن ضوئك الأضواء

وحقاً لقد صدق الشاعر في قوله:

ما كلام الأنام في الشمس إلا
أنها الشمس ليس فيها كلام

ولما بلغ بي الأمر إلى ذلك استخرت الله في أن أنتقل بعصرنا هذا إلى العصور الماضية — وبخاصة بعد أن ألفيت أن كل ما يقال في عصرنا متشابه حتى أصبح حديثاً معاداً — فأخذت السير في بيداء الزمن حتى وافيت عصر الصحابة وهم الذين سعدت أبصارهم بشهود حضرته، واستنارت بصائرهم بساطع حجته، ثم عدت مع الزمن إلى عصور من أتوا بعدهم من التابعين ومن تبعهم رضوان الله عليهم أجمعين لعلي أقبس من سني أقوالهم في مولده (صلوات الله عليه) قبساً أبرع به هذه الذكرى الكريمة الماضية، وكذلك حاولت أن أبحث عن صنف الحلاوة التي كانت تصنع في أيامهم في ذكرى المولد الكريم. وبعد أن أمعنت في البحث، وبالغت في التنقيب ظهر لي أمر غريب ربما تدهشون له

ذلك أني لم أجد من صحابة النبي وخلفائه الراشدين ولا من التابعين ومن تبعهم وهم بنص الحديث خير القرون قولا يقال في حفل يقام لمولده (ص) في شهر ربيع الأول من أي عام !!

ولما استفتيت التاريخ عن أول من احتفل بمولده (ص) أخبرني أن الذي ابتدع هذا الاحتفال هو السلطان المظفر أبو سعيد صاحب إربل (١) الذي تولى الحكم من سنة ٥٨٦ هـ إلى سنة ٦٣٠ هـ وبذلك يكون هذا الاحتفال قد ابتدع بعد نحو ستة قرون من مولده (ص) ولأن هذا العمل محدث فقد اختلف فيه شيوخ الدين ولهم آراء كثيرة في الإباحة والمنع لا نتوسع بإيرادها

لعلكم تعجبون من أن ينقضي عهد الصحابة وفيهم الخلفاء الراشدون ثم يتولى عصر السلف الصالح الذين هم أعرف الناس بفضله والتنويه بذكره ولا يقام للنبي (ص) احتفال بمولده! ثم يظل الأمر على ذلك قرابة ستمئة سنة حتى يأتي رجل تركي فيحتفل به ويقوم بعمل لم يعملوه!

ولم يقف الأمر بالصحابة عند ذلك بل رأيناهم قد أهملوا غير هذا أمراً عظيماً، ذلك أن النصارى قد جعلوا مولد عيسى عليه السلام مبدأ لتاريخهم ولكن تاريخنا لم يكن من مولده (ص) وإنما جعل من هجرته (٢) فهل كانت عناية المسيحيين بنبيهم أشد وأقوى من عنايتنا برسولنا؟

وهناك أمر ثالث مررنا عليه في بحثنا، ذلك أنه لما اعتذل النبي

---

١ - السنى الضوء ٢ - السناء الرفعة

١ - من البلاد التابعة لولاية الموصل
٢ - كان ذلك في خلافة عمر سنة ١٦ هـ وكان عمر قد استشار الصحابة في أن يجعلوا مبدأ التاريخ يوم مولد النبي أو يوم وفاته ثم انعقد إجماعهم على أن يكون مبدأ التاريخ من يوم هجرته ص.

إلى الرفيق الأعلى دفنوه حيث قبض ولم يشيدوا على وفاته قبراً مخصصاً ولا أقاموا على القبر قبة عالية مزخرفة ولا وضعوا عليه أستاراً من حرير أو أقفاصاً من نحاس أو حديد كما يوضع لقبور الأولياء. وظل الأمر على ذلك حتى جاء بعض ملوك[1] مصر فأقام عليه قبة وكان ذلك على ما يحدثنا التاريخ سنة ٦٧٨ هـ أي بعد سبعة قرون من موته (ص)

هذا ما أنبأنا به التاريخ من عمل الصحابة إلا يعنون بتشييد قبره (ص) ولا يحتفلون باليوم الذي بزغت فيه شمس نوره، ولا يؤرخون بيوم مولده! فهل يعد ذلك منهم إهمالا وتقصيراً في حقه وما يجب له صلوات الله عليه ؟؟

كيف كانوا يحتفلون به ؟

كلا! وما كان لنا أن نرميهم بالإهمال أو نحكم عليهم بالتقصير فليس في الناس أحد على مد التاريخ الإسلامي كله يعرف من قدره (ص) مثل ما يعرف صحابته ولا من جاء بعدهم وإنما كان احتفالهم به (ص) احتفالا أروع من احتفالنا وإحتفاؤهم بذكراه أجل وأوفى من احتفائنا

إن احتفالنا بمولده الشريف واحتفاءنا بذكراه إنما يكون في كل عام مرة! فينظم الشعراء في وصفه فرائد الشعر، ويدبج الخطباء لمدحه برود النثر، وتزين الأماكن بالثريات وترفع عليها الرايات. هذا كل ما نصنعه! . ولكن وا أسفاه! لم يكد يفرغ الشعراء والخطباء من قولهم حتى يكون الهواء قد حمل كل ما يقولون فيبدده بين أمواجه. وقبل أن نغادر الحفل تطوى الأعلام وتطفأ الأنوار وتحمل المقاعد إلى حيث أتت ولا يبقى من كل ما عملناه شيء! لا أثر في النفوس! ولا ذكرى في القلوب!

أما هم فقد كان احتفاؤهم به واجلالهم له يتجلى باهراً لا في كل عام، ولا في كل شهر، ولا في كل يوم، بل في كل لحظة. فهم معه أينما ساروا وكيفما توجهوا، يتبعونه في كل طريق إلى الخير، ويستضيئون نوره في كل عمل صالح.

كيف نحتفي بذكرى مولده (ص)

لقد عرف السلف الصالح من تعاليمه (ص) أن أحتفي به وبرسالته هو أن يحملوا رسالته ليؤدوها كما يجب أن تؤدى، فجعلوا أول همهم إصلاح نفوسهم وتأديبها بالأدب الإلهي حتى يصبح هذا الأدب ملكة راسخة تعصم صاحبها ثم تعتصم مع غيرها بحبل الله لحق أعباء الرسالة والقيام بما جاءت به وهي إصلاح المجتمع الإنساني كله، في أخلاقه وآدابه ومعيشته فلا يكون بين الناس إلا أدب القرآن وإلا هدى القرآن، ذلك بأن دين الإسلام ليس دين شخصيات، ولا معاملة بأقوال وكلمات. وإنما هو دين أخلاق وأعمال

دعوة الحق

علموا أن المسلم بحكم دينه يجب أن يكون عزيزاً قوياً والعزة لا تكون إلا بقوة وغلبة وشوكة فهيئوا نهضة الأسود يحملون النور في إحدى أيديهم ليشقوا به ظلمات الجهالة ويهدون بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الطريق المستقيم في هذه الحياة، ويحملون السيف في اليد الأخرى لا ليعتدوا ولكن ليذودوا به عن حوض الحق حتى لا يعتدي عليه باغ أو ظالم وكانوا لا يهابون شيئاً في جهادهم ليقينهم أن الله ناصرهم — 6 قال تعالى « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » وقال: « ولينصرن الله من ينصره » وقال: « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

بماذا بلغوا مقام السيادة ؟

وعلموا أنهم خلقوا سادة عادلين فكانوا كذلك يراعون الفضائل، من الحق والعدل والأمانة والصدق والرحمة والمحبة والعفة والوفاء والبر والإحسان والوفاء بالعهود والعقود واجتناب الرذائل من الظلم والغدر والكذب والخيانة والغش وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة والسحت وغير ذلك مما تناول القول فيه

كانوا يعرفون أن شريعتهم عمود الإصلاح وقطب الفلاح ومرقاة السعادة فكانوا لا يفتأون يعملون لرفع شأنها وإعلاء كلمتها، وبذلك كانوا كما وصفهم الله « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وكانوا يستأهلون ما سماهم الله به في قوله، « وكذلك

---

[1] — الذي بنى القبة هو الملك المنصور قلاوون الصالحي للبروف بالألفي المنصور في سنة ٦٧٨ هـ ذكر في تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة

جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » والشاهد لابد أن يكون مثلاً صالحاً

مالنا اليوم ؟!

هذه كانت حالهم وما كانوا يهتمون به ويعملون له ؛ أما عدا ذلك من الأمور الترفيهية التي لا تنفع الناس فقد كانوا يلتفتون إليها ولا يعنون بها لأنهم كانوا أهل عمل وجد، لا أصحاب كلام باللسان وتصفيق بالأيدي !! – كما هي حالنا اليوم ، تلك الحال التي دعت إمام الشعراء شوقي بك رحمه الله إلى أن يناجي رسول الله بقوله في مسلمي هذا العصر :

أدرى رسول الله أن نفوسهم
ركبت هواها والقلوب هواء
متفككون فما تضم نفوسهم
ثقة ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا وغرهم نعيم باطل
ونعيم قوم في القيود بلاء
أتطلبهم عزّ البلاد نضيرا
وقعدوا وهم في أرضهم غرباء
ظلموا شريعتك التي نلنا بها
ما لم ينل في رومة الفقهاء

وقال كذلك يناجي الرسول (ص)

شعوبك في شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران – ذكر وسنة
فما بالهم في حالك الظلمات
وذلك ماضي مجدهم وفخارهم
فما ضرهم لو يعملون لآت
وهذا زمان أرضه وسماؤه
مجال لمقدام كبير حياة
فقل رب وفق للعظائم أمتي
وزين لها الأفعال والعزمات

كيف يكون التكريم للعظيم ؟

إن التعظيم الحقيقي للرسول أو المصلح أو الزعيم إنما يكون بطاعته والنصح له والنهوض بالأعمال التي يقوم بها أمره وكذلك كان تعظيم الصدر الأول لرسولهم : عمل وجهاد وإصلاح وكفاح. فالذي علينا أن لا نجعل حظنا الأول من احتفالنا هو هذه المصابيح التي تنير الحفلات ثم تنطفئ قبل انصرافنا وإلقاء الأقوال التي تذهب في الهواء بعد إلقائها ، ورفع الأعلام التي تطوى قبل انطواء ليلتها ، وإنما يجب علينا أن نجعل من يوم مولده السعيد في كل عام موسماً لعمل نافع يعود على البلاد بالخير والرحمة والسعادة فتفتتح فيه معاهد للعلم أو مصحات للمرضى أو مصانع للعمل أو مبرات نافعة ، أو تنشر في البر عصائب من الدبابات أو ترسل إلى الجو أسراباً من الطائرات أو تنزل إلى البحر أساطيل من المدمرات أو الطرادات أو الغواصات ، أو ما إلى ذلك مما يؤدي إلى العزة والقوة ويعلو بالأمم إلى مراقي السؤدد والمجد ، وهذا كله وسواه مما يأمر الإسلام به ويحث عليه وبذلك نصبح صالحين حقاً لوراثة الأرض واستعمار الدنيا ونحقق فينا قول الله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » والصالحون هنا هم الصالحون لعمارة الأرض واستغلال نواحيها

الإسلام قول وعمل

إن الإسلام قول وعمل ، عقائد وعبادات ، آداب وكفاح فلا يكفي المسلم أن يظهر إسلامه أو يؤدي فروضه كما تقتل الأمور الروتينية ولكن المسلم من احتمل تكاليف الدين وتشكيف جهده — على التعبير الجديد — وترى عنده ملكة دينية تصدر عنها أقواله وأعماله ينظر بها ويسمع بها ويمشي بها ؛ ومن كان كذلك فإنه لا ريب يكون قد هدى إلى الصراط المستقيم وكان مع النبي (ص) في كل حين

كلمة ختامية

لا زلت أجأر بالدعوة فأقول : إن الكلام لا يفيد وإن الإسلام قائم على العمل « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله »

مشكلة جامعيـــة

للأستاذ كامل محمود حبيب

كتبت فى العدد (٩٠٦) من الرسالة الغراء نداء إلى حضرات الأساتذة الأجلاء عمداء الكليات بالجامعات المصرية وهيئة التدريس بها ، أستفتيهم فى أمر رجل ليس مغموراً ولا نكرة ولا متطفلا فى ركب الحياة ، تخرج فى مدرسة المعلمين العليا حين تخرج لم يدع العلم ولا انصرف عن الكتاب ولا اطمأن إلى فتور النفس ، فأصاب ثقافة عالية أخرى تالدا من طول ما قرأ ومن طول ما اطلع . وعاش حينا من الدهر يرسف فى قيود الوظيفة ، ثم ضاق بالوظيفة أوضاقت هى به ؛ ولكنه لم يرد أن ينبطل ترفعا منه وأنفة ، ولا أن يسكن إلى حياة الريف خشية أن يصيبه الجمود الذى يقتل العقل أو أن يصيب به الفتور الذى يمسح على الذكاء ، فتقدم إلى كلية محلية من كليات جامعة فؤاد الأول ، يطمع أن يكون طالباً بين شبابها على حين قد طوى عمر الشباب ، وعلى حين أنه يعلم طول الشقة وبعد الغاية وصعوبة المرتقى ؛ غير أن فى النفوس الكبيرة لوثة طمعا ما يهدأ أبداً ، وأن فيها أملاً مشبوبا ما يفتر . وجاء - بعد أيام - رد « المسجل » يقول للرجل « ... ونأسف لعدم إمكان قبولكم بالقسم المذكور إذ أن القبول به قاصر على الطلاب الحاصلين على شهادة التوجيه (كذا) » .

وخيل للرجل أن « المسجل » لا يملك أن يرد طلبه؛ فالمسجل فى ظن الرجل - موظف يقيده قانون وتقيده لائحة ، فهو لا يستطيع أن يبت فى أمر برأى إلا أن تسعفه مادة من قانون ، أو يدعمه بند من لائحة ، فكتب إلى عميد الكلية ينشر أمامه الخبر كله عله يجد الرأى الذى عزب عن « المسجل » أولا فيسمع حكم مجلس الكلية - كتب الرجل إلى العميد وفى رأيه أن عميد كلية ما من كليات الجامعة ليس سوى رجل علم وأدب واجتماع : يبذل من عقله للعلم ويبذل من قلبه للأدب ويبذل من نفسه للجماعة ؛ وأنه ليس موظفا كبيراً فى ديوان من دواوين الحكومة يمارس النعمة ويتيه بالمنصب كما ذكر تاريخه

وهو ما يرضى الله والرسول فأنهضوا جادين لتنضموا مقامكم عزيزاً بين الأمم إن لم يكن فوقها بالعزة لله ولرسوله والمؤمنين ، وكافحوا حتى تكون كلمة الله هى العليا

كنت أريد أن أتحدث عن علة عدم اتخاذ الصحابة من مولده (ص) مبدأ للتاريخ الإسلامى وكذلك كنت أبغى أن أبين سبب عدم إقامة قبة لقبر النبى (ص) فى الصدر الأول ولكن القول فى ذلك يطول . على أنى أختم قولى بالضراعة إلى الله سبحانه أن تكون هذه الليلة [1] التى اتفق فيها نور من أصلحاء المسلمين الإنسانية من فى الأرض جميعاً مبدأ لمولد لنا جديد فتكون كل مسلم جنديا دينيا بآدابه وأخلاقه وأعماله وأحكامه وليكن خلقنا جميعا (القرآن) - وحديثنا الحنيفية السمحة التى تركها لنا النبى بيضاء ؛ ليلها كنهارها ليعود إلينا مجدنا ، وينتشر بين أرجاء الأرض نور ديننا ونأتى فى مثل هذه الليلة إن شاء الله ، ورسول الله (ص) راض عنا مشرف بجماله علينا

هذا ما أرجوه وأعناه ، والله يتقى أنكم وأنتم مسلمون حقا ستلبون دعوتى ، وتحققون رجائى بأمنيتى فوما رجائى إلا رجاؤكم جميعاً وما أمانيى إلا أمانيكم جميعاً

هذه كلمة خالصة صادرة من قلبى فأضرع إلى الله تعالى أن يكتب لها التوفيق والقبول حتى تتخطى هذه المظاهر الزائلة وتنفذ إلى قلوبكم فتمس شغافها لينقدح فيها نور الإيمان الصحيح فيتجلى فى أعمالكم الصالحة ومن ثم تبدو الرسالة المحمدية لأمم الأرض جميعاً على وجهها وتظهر فى غير خفاء عظمة من أتى بها فيسجدون له سجود الإكبار ويعلمون حقا أنه صلوات الله عليه مصلح الإنسانية الأعظم وأن ما يقام له من حفلات لم يكن لهوا ولا لعبا وأن ما يقال فى وصفه لم يكن مينا ولا كذبا .

هذا ما أبتهل به إلى الله ، والسلام عليكم ورحمة الله

المنصورة **محمود أبو رية**

---

١ - مولد النبى صلوات الله عليه أمر اصطلحوا عليه وإلا فلا يعلم على التحقيق الليلة التى ولد فيها

يوم أن كان موظفاً حقيراً ، يوم أن كان أمس في ناحية من المجهول ولكنه أسمى إلى ذرى المنصب العلمي الخطير يوم أن تسمعه بقوة العلم الذي يرفع النفس عن الصغار ويسمو بالروح عن السفساف ويصفي الخاطر من الحدث ، فهو رجل ارتفع بكبرياء العلم التي لا تستهويه زينة الحياة ولا يستهويه ألق النجاح ولا يفتنه بهرج المنصب . كتب الرجل الذي تمم العلم والأدب إلى « صاحب السعادة » عميد الكلية ... كتب وإن رجب القلب لا يكاد يسمو إلى موطئ قدميه ، وإن طنين الرتبة لا يكاد يبلغ مسمعيه ، ثم هو رجل يترفع بنفسه أبداً من أن يطامن للجاه أو يتصاغر أمام المال ... كتب إلى عميد الكلية وفي خياله أن عالماً يتحدث إلى عالم ، أو أن أديباً يكتب إلى أديب ، أو أن عقلاً يحدث عقلاً ، أو أن رأياً يخاطب رأياً ... ولكن ...

ولبث الرجل أياماً ينتظر رأي العميد ، ولكن العميد كان قد أخذته روعة المنصب فعز عليه أن ينزل إلى مستوى الناس ؛ وغره جاه الوظيفة فأصم أذنيه ، وصرخه رنات اللقب فلم يلق بالاً لأمر ؛ ونسي العميد أنه رجل علم وأدب واجتماع ، يجب أن يبذل من عقله للعلم وأن يبذل من قلبه للأدب وأن يبذل من نفسه للجماعة . لقد أمسك العميد من أن يقول كلمة واحدة في أمر ذي بال . ولست أدري أكان ذلك سهواً منه أم إغفالاً أم استهانة بشأن الرجل الذي لم يعرفه بعد ... أو لعله تلبث طويلاً ينتظر أن يتوسل إليه الرجل بواحد من العظماء كرأيه أو من ذوي الجاه والسلطان ليكون له على الرجل فضلان ، ولكنه غاب عنه أن في العلم ترفعاً يأبى أن ينحط وأن به كبرياء لا يتصاغر أبداً

وجاءني الرجل يشكو الكلية التي أغفلت رسالتها الجامعية ونسيت روحها العلمية

قال الرجل « ولبثت أياماً أنتظر رأي العميد ، ولكن العميد كان ذا شغل وزلل فشغله بريق المادة من أن يخلص للعلم وحده »

قلت « إنك تتجنى على أساتذتنا وهم قادتنا إلى حزب الأحرار وهم منارتنا إلى حزب الرأي »

قال الرجل « حاشاي أن أتجنى أو أتجنى . وأعجب العجب أن يتراءى العميد للعالم أمام نفسه موظفاً كبيراً ذا خطر وشأن فأخذته — من ناحية — غطرسة المنصب وعزة الرتبة ، وأن تشغله من ناحية أخرى دواعي الحياة وترف العيش من أن يصبر على مشقة العلم »

قلت « إن في نفسك — يا صاحبي — ثورة جارفة فهدئ من روعك »

قال « فماذا تقول أنت إن عرفت أن العميد قد بلغ أكبر منصب علمي في الشرق دون أن يشارك في النهضة العلمية ببحث علمي عالي واحد يشفع له ؟ وأنه قد فاز بأكبر لقب في الدولة دون أن يشاطر في النهضة الوطنية الكبرى بعمل واحد كبير يشهد له ؟ »

قلت « إن عبقريته السامية هي التي دفعته ليتسنم الذروة في قصر دونها همة المبتكرة الأفذاذ »

قال « أما الكلية نفسها فقد تخلفت عن كليات العالم كله لم تخرج على العالم ، في ثورة العلم وتقدمه بشيء ذي خطر على حين قد سلخت فيها مائة سنة من عمرها المديد »

قلت « لا عليك ، فسأنشر قضيتك أمام أساتذة الجامعة وهم قضاتنا وفيهم الرأي السديد والعقل الحر »

وكتبت إلى حضرات الأساتذة الجامعيين أستفتيهم في أمر الرجل ، وانتظرت الرأي الذي يثير والفتوى التي تهدي — ثم انتظرت أسابيع فلم أظفر من واحد منهم بكلمة

وقلت لنفسي : لعل واحداً من حضرات الأساتذة الأجلاء لم يقرأ ما نشرته أكبر مجلة أدبية في الشرق . ولا عليه من بأس إن لم يكن قد قرأ ما كتب ، فشواغل الحياة كثيرة تصرف الناس عن القراءة ومطالب العيش ثقيلة تضن بالمال على دواعي المطالعة . وليس الحمل أن يتكلم حين تلح حاجات العيش

أو لعل واحداً منهم لم يجد الرأي الذي يشفي ولم يعثر — في خاطره — على الصواب الذي ينفع ، فأمسك على ضيق وحصر خيفة أن يكلف نفسه شططاً

أو لعل واحداً منهم لم يشأ أن يقذف بالرأي الحر الجريء فيتخطى بذلك تقاليد الوظيفة التي تحني الرؤوس برغبة الرئيس فيجلب على نفسه محنة غضب العميد والخروج على التقاليد فآثروا جميعاً العافية في الصمت

أو أمله المترف المدلل الذي يصيب الرجل فيقعده عن الكد حين يخيل إليه أنه بلغ الغاية التي دونها كل غاية أو أنه أصاب الهدف الذي يتضاءل أمامه كل هدف

. . .

والآن ، ما رأي الجامعة — الجامعة التي أصبحت توصد الباب من دون كل طالب علم في غير تحرج لتذكرنا بأيام الجهالة الأولى حين كان الاستبداد يقوم سداً منيعاً يحجب النور عن البلاد ، حين كان العلم حراماً على كثير من الناس استصغاراً لشأنهم وسبيلاً لاقدارهم ، حين كان الجهل يغمر آفاق البلاد عن عمد وإصرار ليستبد ظالم أو يستعبد غاشم — ما رأي الجامعة التي هي أكبر جامعة عربية في العالم والتي أنشأها أمل كبير لتستجاب غمة أو تنكشف ظلمة

ما رأي الجامعة التي تعلم المنطق والعقل ، ما رأيها في المنطق المخذول الذي يتذرع بأسباب واهية ليست من المنطق ولا من العقل ليوهم الناس بأن شهادة عليا يعترف بها قانون الدولة فيخول حاملها حقوقاً علمية وحقوقاً مادية ومقصورة ومستورة — ليوهم الناس بأن شهادة عليا هذا شأنها هي في نظر الجامعة التي تعلم المنطق والعقل أقل من شهادة التوجيه . ولا عجب فمنطق الجامعة إذن — يعترف بالسمو إلى أسفل أو يؤمن بالتقدم إلى الوراء

وما رأي الجامعة — وهي أخت الجامع — وفي الجامع الذي لا يرد قاصداً ولا يصد طالباً حين ينادي المنادي أن : حي على الصلاة حي على الفلاح . وما بال الجامعة توصد الباب في وجه القاصد وتتنكر للطالب كلما دقت ساعتها الدقات المدوية أن : حي على العلم ، حي على الفلاح

وإذا تنكبت الجامعة عن القصد أو حادت عن الجادة فمن عسى أن يكون الحكم سوى الأساتذة الأجلاء ؟ وإذا أغلقت الجامعة رسالتها الجامعية ونسيت روحها الذهبية فمن عسى أن يكون الناصح سوى الأساتذة الأجلاء ؟ وإذا ضاقت الجامعة بمبادئها السامية أو تنكرت لهدفها العالي فمن عسى أن يكون الهادي سوى الأساتذة الأجلاء ؟

إن القضاة الذين ينشرون روح العدل على الأرض هم أبناء الجامعة البررة ؛ وإن أعضاء مجلس الدولة الذين يردون إلى كل ذي حق حقه ويدفعون عن كل مظلوم العسف هم أبناء الجامعة البررة ؛ ولكننا نخشى أن تكون روح أمثال دنلوب ما تزال تبقى بيننا فتتغلغل في ستر إلى أعماق النفوس فتبعث فيها روح الظلم والعنت ، أشياء تحاول أن تعمرها من نفوس عاشت في ظلام الاستبداد فاستنامت إليه زمانا

ولكن ، أيتها الجامعة ، كوني كدأبك أبداً فاستبقي النور في غمرات الظلام ، وابني الحرية في ظلمات الاستبداد ، واخلقي العقول الحرة الجريئة لتلتقي الهدف السامي الذي من أجله أنشئت منذ سنوات وسنوات . وكوني كدأبك أبداً أخت الجامع

كامل محمود حبيب

الخمر بين الطب والإسلام

للدكتور حامد الغوابي

يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون) صدق الله العظيم

ما هي الخمر ؟ هي كل شراب يغطي العقل ويضع عليه ستراً فيجعله لا يدرك حقائق الأمور ولا تستقيم بصيرته بأموره أي أن كل ما أسكر فهو خمر وهو حرام

وقد سمي الشراب المخصوص خمراً لأنه كالخمار في تغطية المحاسن وسترها ، فمتعاطيها قد طبع الله على بصيرته وختم على قلبه فلا يدرك المحاسن ، ولا يعرف المضار والمساوئ ، ويعمى عن رؤية ما يحيط به من الأشياء ، إذ أنها تسلب العقل وهو النعمة الكبرى من الله تعالى لعبده ، والناس قبل الإسلام كانوا على تناول الخمر كثيرين ، فلو أمرهم الله تعالى بتركها بادئ ذي بدء فقد يكون ذلك باعثاً لكثير منهم على الإعراض عن الإسلام ونبذه ، فقد اختلط حبها بقلوبهم اختلاط الدم بعروقهم ، لذلك لم يفاجئهم بالتحريم فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) فترك الخمر قوم ولم يزل يعاقرها آخرون

ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فتركها الجميع عند الصلاة

ولما قوى الإسلام في نفوسهم ، وزالت أسباب تناول الخمر ، وازداد اليقين والحرص على الطاعة بين الله لهم حكمه بياناً شافياً فقال (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) فاجتنبوه اجتناباً تاماً في الصلاة وفي غيرها

نرى من ذلك كيف تدرج الله سبحانه وتعالى في تحريم الخمر

خطوة خطوة ، حتى لا يكون في تحريمها على مدمنيها عنت ومشقة ، هذا وإن في هذا التدرج لحكمة طبية أخرى ، عرفها الطبيب اللطيف بعباده ، فإن منع الخمر عن مدمنيها مرة واحدة يسبب مرضاً خطيراً ، هو هذاء السكارى ، فتراه يصبح ضائق الصدر ، قلق النفس ، لا يطمئن جنبه إلى مضجع ، وقد استمست على السكرى جفونه ، وترتجف منه اليدان ، ويتلعثم اللسان ، ويزداد همه ، ويضطرب قلبه ، وتخبو نضرته ، ثم يصاب بتخيلات وأوهام ، فتراه كمن يتقي شيئاً ، أو يتوجس صوتاً ، فتارة يتخيل عدواً أمامه مهاجماً ، وطوراً يتخيل سماع أصوات مزعجات مما يؤثر ذلك في عقله ويشوش فكره ، فيعتريه مس من خبال وقد يجري من أمام هذه المرئيات ، أو يفر من سماع هذه الأصوات ، وقد يقذف بنفسه من شباك ، ثم تزداد بعد ذلك حالته سوءاً وضعفاً حتى تنتهي بإغماء وموت . فالله الرحيم بعباده لم يشأ أن يعرضهم لهذا الخطر ، فانتقل معهم من دور إلى دور

علاج رباني حكيم ، وقى الناس شر هذه السموم

والآن نتكلم عن الخمر من الوجهة الطبية

أولاً : تأثير الخمر في الجهاز الهضمي ، بملامسة الخمر لسطح الفم ، تهيج إفراز غدد اللعاب ويزيد ذلك في إفراز عصير المعدة مثل تأثير الطعام إذا لامس اللسان . ولكن هناك فرقاً كبيراً بين تأثير الطعام وتأثير الخمر ، فالخمر تزيد في تدفق العصير ولا تؤثر في إفراز خميرته التي تساعد على الهضم ، وهذا العصير الناشئ من تأثير الخمر يعجز عن تحليل المواد الزلالية وهضمها كما أنه يسبب تهيجاً للمعدة

ثانياً : تأثيرها في الجهاز الدموي : تزيد الخمر من سرعة النبض وتسبب اتساع أوعية الدم السطحية ؛ وهذا يفسر لنا سبب احمرار وجوه متعاطي الخمر ، فليس هذا الاحمرار إذاً علامة لصحة ولا دليلاً على قوة ، إن هو إلا دم اتسعت أوعيته الخارجية فوضح ، في حين أن الأوعية الداخلية انقبضت ؛ أي أن مقدار الدم في الجسم واحد لم يتغير

ثم إن الخمر تسبب ارتفاعاً في ضغط الدم وبذلك تعرض مرضى الضغط للخطر

ثالثاً : الخمر والجهاز العصبي : إن أكبر تأثير للخمر في

الجهاز العصبي، وليس غريباً عنا من نشاهدهم في الطرقات وقد غاض منهم ماء الحياء، وحلوا عقد التحفظ، وأصبحوا لا يستطيعون كبح جماحهم، فهم يتخبطون ذات اليمين وذات الشمال، ويرسلون كلامهم على عواهنه دون وجل

فالخمر تأثيرها تخميل وإرخاء للأعصاب، وما الأعراض السابقة التي نشاهدها فيمن يشرب ويهرف بما لا يعرف، إن هو إلا تخميل للمراكز المسكنة، فالتخميل يبدأ في مراكز المخ بحسب نموها، فهو يبدأ في المراكز التي تنمو أخيراً وهذه هي مراكز التحكم والحس

هذا هو تأثير الخمر في خلايا الأعصاب، تخلها ثم تزديها فيصاب المدمنون بالشلل ثم عدم التمييز فالجنون

رابعاً: تأثير الخمر في حرارة الجسم: قد ثبت علمياً أن كأساً من الخمر إلى ثلاث كؤوس تسبب انخفاضاً في درجة حرارة الجسم بمقدار نصف درجة سنتجراد تقريباً، وذلك سببه اتساع أوعية الدم السطحية التي تكمن أعاليها، وعلى ذلك تزيد في تشتيت الحرارة فينشأ من ذلك فقد حرارة من الجسم أكثر. وهذا الفقد للحرارة ضار بالإنسان، فكم من سكير شرب الخمر ثم خرج في البرد فأصابته النزلات الشعبية وغيرها من الأمراض

خامساً: تأثير الخمر في الكبد: الخمر تتلف الكبد وتسبب ضموراً في نسيجها وفي خلاياها، ويزيد بها مقدار النسيج الضام الليفي حتى لتدعي الطب مرضاً خاصاً بالخمر من تأثيرها في الكبد، وإذا مرضت الكبد تعرض الإنسان لأمراض أخرى

سادساً: مقاومة الجسم المرض: أثبت الطب أن الأشخاص الذين يتعاطون الخمر أكثر استعداداً للمرض، وأقل مقاومة له من الذين لا يتعاطونها، وكذلك يكون أقل تحملاً لأن تجرى في أجسادهم العمليات، وإذا اطلعنا على إحصائيات شركات التأمين على الحياة وجدنا أن استعمال الخمر ولو بمقدار متوسط يقصر الحياة

سابعاً: الخمر والحوادث: كثيراً ما تحدث الحوادث تحت تأثير الخمر كحوادث السيارات وغيرها فنقرأ في الجرائد مثلاً أن سائق سيارة كان ثملاً فأودى بحياة أنفس بريئة

وقد ثبت من الإحصائيات أن أكثر من ١٣ ٪ من الحوادث سببها الخمر.

(تاسعاً) الخمر والفقر: شارب الخمر إذا أنفق أتلف وإن سخا أسرف

وما أحسن قول الشاعر

أسرك أن الخمر مادمت شارباً إساءة مال ومذهبة عقل

وقد وجد أن ٢٥ في المائة من الذين يتكففون في الطرقات ويستجدون كانوا للخمر يشربون

(ثامناً) الخمر والأخلاق: الخمر أس الشر، تمحو الموبقات وتزين فعل السيئات. قال أحد العرب ذات يوم لرجل عالم يشرب الخمر: ما تصنع الخمر؟ قال إنها تهضم طعامي. فقال له إنها تهضم من دينك وعقلك أكثر مما تهضم من أكلك

وهكذا كلما زاد الشارب الخمر شرباً زاده الله رجاء وعناءً، فتجده أصبح رق النطاقة، خفيف الحصاة، يخاصم في صغار الأمور، ويتساق بالآثر، وقد صمت عن الخير عيناه، وقد صمت عن النصيحة أذناه، فيقدم على أية جريمة دون وازع يزع أو عقل يزن

(عاشراً) الخمر والنسل: ينشأ أولاد السكيرين ضعاف الأجسام، ناقصي العقول، ذوي ميول إلى الإجرام ودافع إلى الشر وتهافت على الخطيئة

وإن ولد جنين ولم تجهضه أمه أثناء حملها فإن الخمر سبب من أسباب الإجهاض، نزل معرضاً للتشوهات الخلقية فضلاً عن العاهات الخلقيـــة التي تنتقل إليه من ناحية أبيه (كما سبق أن ذكرنا في مقالنا عن الإرث التناسلي)

هذا وإن الخمر ليست دواء كما كان الاعتقاد الشائع منها بأن الكحول له تأثير تنبيهي على القلب، فإن الكحول لم يصل إلى مرتبة الأدوية المنبهة كالاستركنين وغيره

قد يعترض علي معترض قائلاً إن الله سبحانه ليقول (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر

من نفعهما)

أي أن الله تعالى قال فيهما منافع للناس فما هذه المنافع ومن هم هؤلاء الناس؟ إن الله سبحانه لم يقل منافع للشاربين والمقامرين ، إذ أنه لا مراء بأن الشارب يذهب منه دينه ويذوي منه عقلـــه وتنقص ثروته وتفنى صحته ، ولكن المنافع هي منافع مادية تكون لغيره من تجار الخمر وصاحب الحان والنديم والأعوان

وقد أردف الله تعالى قوله (وإثمهما أكبر من نفعهما) لأن إثمهما عظيم فهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقعان العداوة والبغضاء بين الإخوان والأصدقاء كما هو مشاهد في مجتمعات الخمور ونوادي القمار

وذكر الله تعالى هو مادة حياة النفوس وهو ترياق المؤمنين وأنس المنقطعين وبساط المؤمنين فيه جلاء البصائر الكليلة وشفاء الصدور العليلة ، يفتح أغلاق القلوب ويذهب وقر الأسماع وذكر الله أوله صفاء ، وفرعه وفاء ، وشرطه اتصال ، وبساطه عمل صالح وثمرته فتح مبين فهو يقرب المرء من ربه فتفاض عليه الأنوار والمنح الإلهية وما أجلها من منح

والصلاة عماد الدين ومعراج المؤمنين وأصل القربات وغرة الطاعات فهي تجلو القلوب وتهذب النفوس وتنمي فيها شجرة الإيمان وما أرسخها من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء

فنرى أن الذكر والصلاة هما سبب القرب من الله عز وجل وتجليه على عبده بالمنح والخيرات فكفى بالخمر شرا أنها تمنع من شاربها الخير الإلهي وتسبب له غضب ربه

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الخمر مفتاح كل شر وإن خطيئتها تعلو كل الخطايا كما أن شجرتها تعلو كل الشجر) وحقا ما كان مفتاحاً للشر كله كان مغلاقا للخير كله

الخمر منظار مكبر ، يكبر المحسوس في النفوس ، ويجسم الأخيلة للعيون ، وهي سم تودى بموجز العقول ، وتسم شاربها بميسم الذلة والهون ، فإن سرته يوما ففي أعقابها ترحه ، وإن تبسمت لآلئ ثغره حينا أدمى شفته ندما أحايين ، فهي فتنة ممزوجة بألم ، وشراب مخلوط بسم ، ما شربه أحد وهو أثبت الجنة ريان من الصحة والقوة إلا تركها أو تركته وهو مخدد الوجه متداعي الجسم ، عميد الوساوس قد استبد به الداء . كم غني أذهبت الخمر غناه ، وكم من صحيح الجسم هدت من قواه

أترضون أن يقود أحدكم طائرة تحملونهـــا أو سيارة تركبونها مخمور ، أترضون أن يجري لأحدكم عملية جراحية طبيب مدمن مخمور ؟ أتريدون أن تسلموا فتياتكم وأولادكم لمسلم سوار أو سكير ، كم رجل كان له في يومه خمر ، فأصبح له في غده أمر وأي أمر ، إنها الورد الآسن والقذاء الماحق .. كم ترنح شاربها فضل ، وكم تعاجب بها سكير فزل !

أرأيتم إلى الغرب كيف عالج مدمني الخمور ونقلهـــم من بؤرة الإدمان إلى ساحة الإيمان ، وكيف نهى الإسلام عن الخمور لما فيها من أضرار وشرور ، وهاهو الغرب على الحكم أشباهها ويبين الحكم أضرارها

سبحانك اللهم إنك ما نهيت عن شيء إلا وفيه ضرر محقق وبلاء متلاح وذلك رحمة منك بالعباد ، فاصرفنا عن مذاهب الشهوات وأرشدنا إلى مذاهب الشبهات ، واملأ نفوسنا تقى واستقامة ، ووجهنا إلى الخير والسلامة

حامد الفولي
خطيب أول مستشفى رعاية الطفل بالجيزة

نفسية الشعب المصري من أمثاله

للأستاذ عبد الجليل السيد حسن

من المعروف أن الأمثال خير معبر عن نفسية الأمة وأصدق مصور لروحها وأبلغ شيء في الدلالة على ما يجيش في صدور أبنائها وسبب ذلك واضح وهو أن الأمثال تنبع من صميم الأمة وتنبثق من روحها وإلا لما كان لها بقاء، ولما استمر لها وجود ولما قدر لها أن تبقى حية على مر العصور كأنها بنت ساعتها وبنت زمانها ومعه. وإن المثل ليقال ليعبر عن حالة من الحالات أو رأي من الآراء، فإن لم تكن تلك الحالة حالة الشعب وذلك الرأي رأيه لما سار المثل بين بنيه مسير النار في الهشيم، ولذلك مجموعة الأمثال تكون نظرة الشعب الفلسفية للحياة وتبين على أي نحو من الأنحاء يتقبل الشعب الحياة وبأي منظار ينظر إلى الوجود، ويؤيد ذلك أننا لا نعرف قائل المثل، والمثل لا يشيع لأن ملانا قاله بل لأنه يصور حالة يرونها صادقة، أو يكفيهم مؤونة تمثيل ما يريدون أن يكون

إنك إن أعطيتني أمثال أمة من الأمم أعطيتك صورة صادقة نرى فيها حالتها وحالة أبنائها ومقدار حيوية رقيها أو انحطاطها، ونلمس فيها حضارتها ومبلغ حظها من الحياة أو الموت. ولو أعطاني صورة أمة من الأمم وكشفت لي عن حضارتها، لما زعم لك إلا لم أخبرك ما هي أمثال هذه الأمة بالضبط، فلن أخطئ من الأمل، في تبيين المعاني والأفكار التي تدور حولها أمثال هذه الأمة. فالأمثال مرآة الأمة التي تنعكس عليها حالتها وحضارتها

والشعب المصري عرف بحبه للفكاهة أو امتاز بالفكاهة والنكتة وبرز في هذا المضمار حتى أصبح ذلك ألصق الأشياء به وأدلها عليه، ومثل هذا الشعب لا بد أن يكون حظه من الأمثال موفورا فإن الجو الذي تقال فيه النكات أنسب الأجواء لضرب الأمثال ولعل في ذلك ما يفسر لنا ما نلحظه في الأمثال المصرية من روح الفكاهة

لن نتكلم عن الأمثال من ناحيتها البلاغية فقيمتها البلاغية معروفة، وهناك من يعدها أم البلاغة ونهايتها، كما قال إبراهيم النظام «يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة»، بل سنتكلم عن قيمة المثل النفسية ومقدار دلالته على روح الشعب وإلى أي مدى يوصلنا إلى أغوار نفوس الشعوب. والأمثال العربية قديمة قدم اللغة العربية، ولكن العامية لم تدخل مصر إلا بعد دخول العربية بين المصريين وتحولها لغة الشعب، ومنذئذ بدأت بعض الحكم العربية تدخل مستحدثة قالبا سهلا — العامية، ثم تهضم ويتمثل بها. ولسنا الآن في مجال بحث نشأة الأمثال العامية في مصر، بل إننا نكتفي بالقول بأن الأمثال التي سنقولها بعد والتي ستعرض منها جانبا من نفسية الشعب المصري قد نشأت وتكونت في عصور الظلام، عصور الاستبداد التي أنشبت أظافرها في جسد المصري فأفسدته من الحكم، وألصقته بالأرض يفلحها ويلاحيها، سيموه الخسف ونزعت من بين يديه ثمار غرسه ونتائج تربيته، ولم تترك له إلا قشر ثمرته التي جناها وعظام ذبيحته التي ربتها، هذه العصور المظلمة منذ المماليك والأتراك إلى ما قبل يومنا هذا بقليل

ولنأخذ الآن في تحليل نفسية الشعب المصري من أمثاله، ولن نتناول الآن إلا ناحية واحدة هي «الميل إلى الاستكانة والشعور بالدونية، وسريان روح اليأس والدعوة إلى الخنوع وعدم الرغبة في الكفاح» ولنا أخرى هل هي فطرية — وأعوذ بالله أن تكون كذلك وإن التاريخ ليأبى أن تكون فطرية — أو مكتسبة؟ وأكبر الظن أو الأصح أن نقول «إنها مكتسبة اكتسبها الشعب نتيجة لعصور الطغيان والاستبداد بالأمر وإقصاء الحاكم الأجنبي عن الحكم أهل البلاد ووصمهم بأنهم فلاحون ولا يصلحون إلا لذلك فقط»

* * *

«الهم يا أخي واسكت، هي اليه يطلع السال» إن هذا

الأول قد اتخذ من هذه الحقيقة الطبيعية برهانا يؤيد به ما يريد أن يقوله من أن «الكدح والجهد لا يجدى». فإذا كان كذلك فلماذا لا تريح نفسك وتدع الأمور تجرى فى مجاريها؟ إلا تجهد نفسك فى تغييرها فإنك لن تستطيع أن تبلغ ما تريد ولن تستطيع أن تغير من حالك أو نظام الكون شيئاً. «دع مقلته صاحبه» «ودع الأمور تجرى فى أعنتها» ورب ليلك راضى النفس مطمئن الفؤاد. يا له من قول أخرق هذا الذى يحاول أن يقنع عاميا أنت عليه أن لا ييأس وأن لا يقنط من روح الله، وأن يكد حتى يبلغ مراتب العظماء، فإنه لن يكون عنده إلا جاهلا لا يعلم أن «الديك لا تطلع النهار». نعم إن الديك لا يطلع النهار وحده، ولكنه يطلعه بوقعات لا تحتاج إلا إلى جهد قليل، وإن الديك لابد أن يطلع النهار إذا استطاع ما قبله فطرته، وإن العظيم ما دام إنسانا وهو إنسان أيضا فلا مستحيل هناك فى أن يصل إلى ما وصل إليه

«وإن لويت بلد بتعبد عجل مش وارين له ... الذى يحوز أمى، أقول له يا عمى». فى هذين المثلين يتجلى الخنوع والخضوع والرضا بالمركز السافل والوضع الدنئ والحكم الظالم والسكوت على الذل. وإن رائحة الجبن والتشجيع الذى يريده الظلم تفوح من هذين المثلين - من ترك الأمور - فلا تحاول أن تبدل وضعاً من الأوضاع أو حتى تنتقد النظام الذى تحيا فى كنفه بل احمل رأيك وابذل جهدك حتى لا تثيره، وليس هذا فقط بل عاون على تثبيت بنيانه وتدعيم أركانه، وساعد على ذلك أيضا حتى ولو كان يخالف عقيدتك - حتى ولو كفرت! فإن كنت مسلماً ورأيت قوما يعبدون العجل، فلا تتهمهم من المنكر أو الكفر ولا تنذرهم بالعروف بل اعبد العجل معهم واعلمه مبالغة منك فى عبادتك. وأنت لا شك لا تحب أن تتزوج أمك غير أبيك وتأبى ذلك أشد الإباء وتنكره غاية الإنكار، ولكن إذا تزوجت فارض بهذه الحال ولا تثر ولا تشق لى قريبا وقل لزوج أمك، هذا الذى تبغضه من أعماق قلبك «يا عماه».

«حط رأسك بين الروس واسكت» إذا ما دعا داع إلى تغيير وضع من الأوضاع أو أمر من الأمور السياسية، جوبه بهذا المثل وسخر منه وقيل له «... فأنت لا ناقة لك فيها أى القوة

ولا جمل» «تروح فين يا صعلوك بين الملوك» وهذا المثل كله يأس وكله شعور بالعبودية والصغار وبأن الدولة التى هى دولته شىء غريب عنه، ولا حق له فى التدخل فى شؤونها، وعليه أن يستنيم وأن يرضخ للحكم كالمستسلم ويضع إصرار من ... محتاج

وهناك مثل آخر يكاد يدل على تقديس الحاكم ومشروعية الظلم وتحمله وهو «ضرب الحاكم شرف» وهم يقصدون ضربه حتى ولو كان ظالماً، فإن الذل والخضوع للحكام بلغ بهم أن يعدوا ضربهم شرفا، وبلغ من وقاحة المضروب وجرأته وعدم قدرته على رد عادية الحاكم أن يعتبر ضربه شرفا. أو أنه لما عمهم ضرب الحاكم وإذلاله وهو شىء يسوؤهم بلا شك، أرادوا أن يخففوا من وطأة الظلم بأن أقروه وجعلوه مشروعا ومرغوبا، وهذه حالة نفسية تلازم الإنسان إذا لم يجد إلا الشىء الذى يرضى به ويرضيه حتى يخفف من سوئه، كالفقير يمتدح بفقره، ويعيب إليه كل خير ويأسى بالشىء كل شهوة لأنه قد فاته. وكذلك الإنسان مضطر إلى التكيف مع ما يكره حتى يتخفف من وطأة ألمه، فهؤلاء جعلوا الظلم مشروعا حتى يأمنوا من حدته

وليست كل الأمثال العامية تظهرها على نواحى سيئة من نفسية الشعب المصرى - بل إن هناك نواحى مشرقة مشرقة تطالعنا عليها هذه الأمثال، ونرجو أن نوفق إلى إبرازها إن شاء الله.

عبد الجليل السيد حسن

بين حافظ وإمام العبد

للأستاذ خليل الخوري

كان المغفور له حافظ بك إبراهيم شاعراً فحلاً وأحد الثلاثة الذين رفعوا اسم الشعر عالياً في الجيل الماضي. ومن يجهل أولئك الأدباء الذين لن تمحو كرور الأيام ولا مرور الأحقاب ذكراهم الخالدة — بل من لا يعرف شوقي وحافظاً والمطران أولئك الأبطال الثلاثة الذين قد يكونون ولدوا في سنة واحدة فهم من فلتات الزمان. وقد تمر الأحيان بل القرون ولا تلد النساء أمثال هؤلاء العباقرة

وإني أذكر أن في مقهى «سبلندد بار» (مقهى البسفور اليوم) المجاور لبار شبرد المشهور والمقابل لحديقة الأزبكية في القاهرة كان يجلس أدباء الجيل الماضي في خلال الحرب العظمى الأولى وقبلها، ومن أولئك الأدباء — الشعراء الثلاثة الذين خفقت أعلامهم في الأقطار والشيخ طاهر الجزائري والشيخ رشيد رضا والشيخ عبد الحميد الزهراوي ومحمد إمام العبد الشاعر الأسود ورفيق بك العظم وداود بك بركات والشيخ عبد القادر المغربي ومحمد كرد علي — والعالم الدكتور شبلي الشميل الذي كان أعظم رجال زمانه في العلوم الطبيعية وأنطون الجميل بك، وكان ينتاب ذلك المجلس الميمون عبد القادر سليمان البستاني والدكتوران يعقوب صروف وفارس نمر باشا

ذلك كان مقهى العلماء والأدباء يجلسون فيه طوال الساعات يتجاذبون فيه طارف الأحاديث من قديم ومن حديث فكان بمثابة سوق عكاظ، والذي تتاح له مجالسة أولئك الأبطال كان يجد منهم الجم الجميل فقد كانوا مصلحين طوراً وتارة معلمين

ولم يبق من الأحياء ممن ذكرت سوى الدكتور فارس نمر والشيخ عبد القادر المغربي ومحمد بك كرد علي الذين ما زالوا يعملون في العلم والأدب والصحافة والأمة أطال الله أعمارهم وصانهم ورحم الله أولئك الأبطال الخالدين

ووقع مرة أن حافظاً كان في المقهى وهو بعض صحبه فأقبل عليهم محمد إمام العبد والكآبة تعلو محياه الأسود فزيده حلوكاً؛ ويود أن يجلس على الإخوان فطار حتى جلس إلى جانب حافظ فدهش حافظ من ذلك المنظر وكره أن يرى إمام العبد في ذلك الغم — وقال له ويحك! ما أصابك هل ماتت زوجتك أم مات ابنك وأنت لا زوجة لك ولا ابن ولن يكون لك لا هذه ولا هذا — ويحك ألا تضحك قليلاً بل ألا تبتسم حتى يبدو اليسير الجميل من الفم الكثير منك — حتى أسنانك البيضاء الناصعة فتخدم ولو قليلاً لسواد وجهك الحالك؟ فأجابه الشاعر البائس وقال لحافظ

كيف أضحك وقد بت ليلة أمس كأمس أعاني السكرى من وطأة الطوى — أوماني اليسير يا رزقك الله — فبكى حافظ واستبكى سائر الجلساء وكانوا كلهم أولي المروءة والإملاق، بعيونهم من الصدار بل من الناجين أفرغ من الفؤاد من الماء — وقد كان حافظ أعظمهم شقاء وبؤساً على رغم شهرته في الشقاء والبؤس

بكى حافظ على إمام العبد وعلى نفسه وعلى سائر إخوانه وعد يده إلى أحد جيوبه وأخرج قطعتين من النقد قطعة من الذهب وقطعة من الفضة أما قطعة الذهب فكانت جنيهاً إنكليزياً وقطعة الفضة قرشاً صاغاً مصرياً، وألقى القطعتين على المائدة التي كانت بين الجلساء وقال لإمام العبد خذ القطعة التي تشاء من هاتين القطعتين، فتناول الإمام القرش وترك الجنيه الخالق على جوك وهو يبكي؛ فلحق به حافظ واستحلفه أن يأخذ الجنيه وشدد عليه في ذلك وهو يأبى وكان بين المحسن والمستجدي البائس صراع عجيب: هذا يرفض الاستئثار بالجنيه ويكتفي بالقرش، وذلك يصر على إعطائه الذهب واستهواء النعمة حتى تغلب بعد طول الصراع حافظ على الإمام ومضى هذا بالجنيه وترك القرش لحافظ

طرابلس الغرب — خليل الخوري

تاريخ توكيديدس

للأستاذ سيد محمد سيد

توكيديدس .. وأعني به ذلك المؤرخ المعروف الذي أرخ لنا الحروب البلوبونيزية التي نشبت بين اسبرطة وأحلافها من جهة وبين الإمبراطورية الأثينية من جهة أخرى وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس قبل ميلاد المسيح

والتاريخ في حد ذاته فن يحتاج إلى عدة عناصر يجب أن تتوافر في المؤرخ، منها مثلاً معرفة الحقائق والاستعداد لتسجيلها بأمانة وإخلاص، وكذلك الاستعانة بالخيال – إلى حد ما – لتصوير الشخصيات وإبراز النتائج

ونحن نعلم تماماً أن المعرفة ليست من السهولة بمكان، كما أنه يصعب التوفيق بين الدراسة العميقة والخيال الخصب، ومع ذلك فقد نجحت لتوكيديدس من هذه العناصر ما رفعه إلى مصاف أعظم المؤرخين، وربما كان هذا رأي « ماكولي » المؤرخ المعروف الذي كتب في مذكراته: لقد انتهيت اليوم من قراءة توكيديدس، تاريخه بكل شغف وإعجاب، وأستطيع أن أقرر أنه أعظم مؤرخ ظهر إلى اليوم

ولا أرى بأساً من أن أشير إلى سيرة هذا المؤرخ إشارة وجيزة تمهيداً للكلام عن تاريخه

ولد ما بين سنتي ٤٧ ، ٤٦ قبل الميلاد في أثينا، ومن الحقائق التي عرفت عنه أنه قاد أسطولا بحريا أثينيا ضد الاسبرطيين خلال حروب البلوبونيز، وقد قص علينا في (كتابه الرابع) فشله في هذه المهمة بإيجاز وخشي أن يعود إلى وطنه يجرر أذيال الخيبة والخسران، فولى وجهه شطر بعض الولايات المعادية لأثينا في البلوبونيز. ثم بدأ يكتب تاريخه

وقد استغرقت الحوادث التي دونها الربع الأخير من القرن الخامس ق. م وعلى ذكر حرب البلوبونيز بصفة خاصة لم يشر في كتاباته إلى الإمبراطوريات القائمة وقتئذ مثل إمبراطورية الفرس ومصر إلا بقدر ما تؤثر في مجرى الأمور في ولايات الإغريق

وعلى الرغم من أنه في هذه الفترة من التاريخ القديم عاش عمالقة الأدب والفلسفة والفن أمثال هيرودوت وأيسخولوس وفيدياس وأوريبيدس وسقراط فإن توكيديدس لم يذكر في كتاباته اسم أحد من هؤلاء، كما لم يشر إلى أعمالهم بشيء، بل إن كل ما وجه إليه عنايته هو تأريخ الحروب البلوبونيزية مما جعل البعض يطلق عليه أنه مؤرخ هذه الحروب

وإن الباحث المدقق في تاريخ هذا الرجل يبدو له لأول وهلة أن كتاباته ليست سوى صورة باهتة مرت بها يد شخص ليست لديه ملكة قوامية، هذا في الوقت الذي اعتبر فيه « ماكولي » أعظم المؤرخين!

ويرى السير تشرد النجستون في مقدمته من تاريخ توكيديدس الذي نقله من اليونانية أنه ليس في الحياة الأدبية لأية أمة ثلاثة تشابهت أو تساوت عبقريتهم مثل أفلاطون وأرسطو وتوكيديدس في أثينا ... ويقول أيضاً « لقد كانت لدى توكيديدس هذه الروح النقلية التي نجدها عند المؤرخين في أيامنا »

وقد شرح لنا توكيديدس على صفحات كتبه النظريات عن كيفية التحقق من الروايات التاريخية، وعلى ذلك نستطيع أن نقول – ولا حرج – إنه واضع الأساس لهذا العلم الفني. ولنستعرض آراءه إذ يقول « لكي نبحث عن الحقيقة يجب أن لا نأبه بأول ما يصل إلى متناول يدك، وعلى المؤرخ أن لا يحاول الوصول إلى الحقيقة عن طريق أخيلة الشعراء وأساطير الأولين الذين يحاولون اجتذاب القلوب إلى أحاديثهم المشوقة عن طريق التهويل والمبالغة دون العناية بذكر الحقيقة

ثم يعرج توكيديدس إلى الإشارة عن طريق تدوينه الوقائع الحربية فيقول « لا أذكر أني دونت معلومات استقيتها مصادفة، بل إني لم أذكر سوى ما رأيته بعيني رأسي أو ذكر شهادته شخصيا واتضح لي في النهاية أنه وقع فعلا. ومع ذلك فقد أعطاه التوفيق في الحكم على بعض الحوادث، فالبعض يرى أنه كان متحيزاً في الزعيم الديماجوجي « كليون »

فى الوقت الذى أغرق فيه فى مدح الزعيم «بركليس» ، لا بأس ! فأين هو المؤرخ الذى يسرد الحوادث التاريخية دون أن يتأثر بالعاطفة والتحيز !

ونستطيع القول ، أن توكيديدس كان يفهم تماماً الطريقة الصحيحة لتدوين الحوادث ، وكانت لديه عدة ميزات تعينه على ذلك ! حقيقة كانت تنقصه العناصر التى توافرت لدى مؤرخى العصور الحديثة ، فهو لم يذهب إلى المدرسة أو الجامعة ولم يدرس طرق البحث العلمى الصحيح ، إلا أنه تتبع طريقة الحياة وسط المفكرين الذين تبدو آثارهم فى الاتجاهات السيكولوجية لأحاديثه ، فقد كان يلمس الحوادث التى وقعت فى زمانه ويصور العواطف والأحاسيس التى أحس بها شخصياً واستطاع بذلك أن يمتاز بأن تصويره للحوادث جاء من تسلسلاته الشخصية بها لا عن طريق المستندات والمدونات . وهو لم يقض حياته منفرجاً على الجميع بل شهد فى كثير من الحوادث وساهم فيها ، فكان سياسياً خدم فى الجيش وعمل فى الأسطول وتلقى جانباً من الثقافة من اتصالاته بالمفكرين والشعراء فى هذه الساحات التى كان يغشاها معهم لهم عالمهم حيث كانوا على اتصال دائم بالطبيعة الإنسانية التى اتخذوا منها مادة لكتاباتهم ونظمهم

وكان لاشتراك بلاده (أثينا) فى الحرب ميزة لماها الفريدة من نوعها لتدوين حوادث هذه الحرب ، وخاصة بعد أن قضى شطراً من حياته فى صفوف العدو وهو يقول فى ذلك :

« لقد كان من حسن حظى أن أمضى عشرين عاماً فى المنفى فوجهت بذلك الفراغ الكافى لأن أرقب الحوادث من كثب »

هذه العناصر ، عنصر المساهمة فى الحوادث والنظر إليها خلال منظار بلاده تارة ومن منظار أعدائه تارة أخرى كانت كافية لأن تجعل منه مؤرخاً منقطع النظير

وقد أطلق البعض عليه لقب (مؤرخ سياسى) وقصد بعضهم إلى ذلك لأنه عنى عناية فائقة بسلوك الأمم والرجال فى الأمور السياسية ، ولذا من يقرأ تاريخه عن الحرب البلوبونيزية يدخل فى روعه أنها حروب نشبت بين إمبراطوريات عظام ، وأوضح لنا المؤلف سبب قيام هذه الحرب ويستطيع القارئ الكريم أن يرجع إلى كتابه الذى نقله من اليونانية أخيراً سير رتشرد لفنجستون وهو إحدى كتابات أوكسفورد

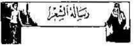
وقد أشار هذا المؤرخ الكبير إلى ناحيتين من الديمقراطية جديرتين بالتسجيل ، الأولى هى أن الديمقراطية الناجحة فى حاجة ماسة إلى زعماء مهرة بارعين إذ أن أثينا لم تعطها وتودى بها سوى الزعامة الناضجة . والناحية الثانية هى سر الديمقراطية فهى — كما يرى — التى تترك لكل فرد الحرية فى أن يعيش يستوى نفسه بطريقته الخاصة به وعلى الأفراد واجب احترام قوانين الولاية وأن يقدموا لها الخدمات بمطلق حريتهم

وكان الرجل واقعياً فى تفكيره لا يجرى وراء النظريات المثالية التى نادى بها مفكرو اليونان فى القرنين الخامس والرابع قبل ميلاد المسيح ومنهم أفلاطون الذى قال (إن الدولة قامت لنشر العدل) بل قال صاحبنا (إن الدولة هى القوة رأساً ، لا دخل للأمور الأخلاقية فى العلاقات السياسية بين القوى وأن على الضعيف دائماً أن يستسلم !) وليست هذه المبادئ صادرة من توكيديدس نفسه بل هى صدرت من المفكرين ، فإن أفلاطون رأى ما ينبغى أن تكون عليه الدولة فى حين صور لنا مؤرخنا حالة الدولة فى الواقع

وهكذا فإننا لا نرى إشارة إلى العدالة أو الرحمة فى تاريخه ، فقد خلا من آراء الزعماء والقادة وهذا صاحبه بركليس يقول (عليك أن تذكر أن عظمة بلادك ترجع إلى أنها كرست حياتها للحروب ، ولو سرت عليها سنة التطور وأخذت فى الانهيار فيكفى أنها حكمت أكبر عدد من الولايات لم تحكمه دولة أخرى)

* * *

وقد يبدو لنا تاريخ توكيديدس لأول وهلة سرداً لوقائع لسير دبلوماتيكية محة دون أن نشارك المؤرخين المعاصرين مواطنه بعد أن « وديت » يقول : كانت فكرة الوطن الصالح فى « كوميدات اريستوفان » تظهر الروح الوطنية فى تاريخ توكيديدس فهو لم يترنم بشىء قدر غرامه بأثينا » كان صاحبنا ينظر نظرة خاصة إلى الوطنية فلا يكتفى بأن يكرس الفرد جهوده لوطنه بل عليه أن يحتضنه متفانياً !



أخـــتي

للآنسة إلهام يوسف

إلى الزهرة التي ذوت قبل الأوان .. إلى الشاعرة المرحومة « ن . ط . ع » التي عرفتها بالروح من طريق « الرسالة » الغراء

أختي إذا انتحر الشباب ومات في شرخ وغاب
ورأيتني أمضي على درب الحياة بلا إياب :

وقد تحدث توكيديدس في تاريخه عن أثر الحرب في الأخلاق فقال : إن الرخاء المادي تؤثر على الدول والأفراد في وقت السلم تأثيرا لا شك في أنه يهدم من حقيقتهم يوما استطيع الحرب أن تظهر الأخلاق على حقيقتها)

وقد تأثر في كتابته بالطريقة التي ابتدعها (جورجياس) السفسطائي المعروف ولم يستطع أسلوبه أن يبلغ قيمة أساليب كتاب الجيل الذين أتوا من بعده أمثال ايسياس وديموستنيس ، بل لقد بلغ الأمر أن علق على شيشرون (كيكرو) فهم بعض تعبيراته أحيانا

وقد دون توكيديدس مأساة من أروع مآسي التاريخ القديم وهي انهيار أمة بأسرها وأعني بذلك (أثينا) التي عاصرها وهي في أوج عظمتها تحت قيادة زعيمها العظيم بركليس ، ثم رآها وقد أمسك زمامها قواد أوردوها موارد الهلاك تحت ستار من الديمقراطية المتطرفة (الديماجوجية) ، هذا إلى أن قضى عشرين عاماً في النفي وسط أعداء بلاده . وأمل السر في عظمة تاريخه هو أنه كان يدون مأساة حياته في الوقت الذي دون فيه مأساة أثينا .

محمد صبر محمد

قولي : لقد ماتت هناك هناك في حضن الرصيف
كانت هناك تمد كفيها فلا تجد الرغيف

* * *

وإذا سئلت متى وكيف .. تحدري .. لا تنطقي
ثم انظري نحو السماء بلوعة أو فاطرقي
قولي : هناك رأيتها تطوى على عتبة التعب
وعلى يديها .. حيرة .. لتشتجد الصبر التريب

* * *

وإذا سئلت متى وكيف تحطمت أحلامها
ولأي درب في الحياة تدحرجت أيامها
قولي : لقد أبصرتها مطموسة عند المساء
تاج الطريق وقلبها متواثب نحو السماء

* * *

وتصيح : أبصرت الضعيف يمشي مقصوص الجناح
حتى يموت على الطريق ولا يجف له جراح

* * *

أختي .. وإن قالوا - وأين . مضت تلو شبابها
وتساءلوا : ومن الذين مشوا وراء ركابها
قولي : أناس .. شاحبون على الطريق تجمعوا
ساروا .. أيضا .. صامتاً منه القلوب تقطع
حملوا الرفات من الرصيف إلى مكان مظلم
ولزوه فيه بالدموع وبالأنين المؤلم

* * *

أختي ، وإن يوما سهرت هناك من قرب الرصيف
قولي : وكم عذراء حطمها على الدرب الرهيف

غزة إلهام يوسف

بين الأعاصير

للأستاذ إبراهيم الوائلي

مواجع الروض – لو تصغي مواجعه
صدى من اللحن ما تشجي مقاطعه
أنى وقفت فلا طير يساجلني
على الغصون ولا شدو أي مسامعه
قلب يذوب وأنفاس يضيق بها
صدر تنوء بما يطويه أضالعه
أنى اتجهت رأيت الشوك يرصدني
ومعطف التيه أطوتني زعازعه
مالي وللهو عهدا رقت مسارحه
تشكل وحش وضاقت بي مرابعه ؟
أكلما جئت القضاء على ظمأ
تجهمت دون ما أبغي مشارعه ؟
والحقل يتضح عطرا من أضاعه
فإن صدرت تلقتني زوابعه !
كأنني لست من أطيار دوحته
أشدو ونهفو أفنـــاني مدائحه
ودعت (دجلة) لا طيف يراودني
إلا الحنين ولا لحن أطاوعه
ودعتها أنها تصغي ، وشر أسى
ألا يهز متون الروض ساجعه
وخلت أن (الفرات) العذب مدكر
عهدا من الشعر ما جفت مطالعه
هناك قمت بجنب النخل صادحة
شبابي واستثارتني مرابعه
أستقبل الموج مختالا ولي كبد
تظل من فرحة اللقيا تتابعه

نهر تغني بأمجاد وهام على
دنيا الأعاجيب واستهوت روائعه
كبابل و « سميراميس » شامخة
تقول للدهر : ماذا أنت صانعه ؟
وموكب الشعر لا الأصفاد لاهثة
تكف منه ولا الدنيا تقارعه
من (ابن ذبيان) كم هزت قصائده
(رب الخورنق) واهتاجت روائعه
ومجد بغداد والتاريخ شاهده
إن قيل : هات تحدثنا مجامعه
حتى إذا بات في الظلماء راقدها
يطوى التيه وتحويه شواسعه
تجاذبتها أعاصـــير ومرتقب
عصر من الظلم لا تأسى فظائعه
عصر « الولاة » وشعب يشترى علنا
في كل يوم و (ظل الله) بائعه !
وزمرة من عبيد (الكرج) ساغ لهم
من الدرانين عـــذب الماء ناقعه
والمستعز على « الإسفور » تمنعه
مواكب الشيد والدنيا توازعه
يستنزف الهم لا الأقدار ترهبه
فيستفيق ولا حاسـق ينازعه
تهاوى المهد من « عانه »[1] لا وجمت
به المتون ولا مادت طلائعه
وقيل جاء (حليف) الشرق منتصرا
يحرر الشرق من رق مدافعه
وسار في كل واد فوق دمشق
ظل من الأمل الكاذب يخادعه
فلم نجد غير أشـــلاء مبعثرة
وأمة هدت فيهـــا مطامعه

(١) كان حكم العثمانيين في العراق مصدر شقاء وبؤس حتى في آخر سلاطينهم .

وحب شعب فهز الشاطئ ثائره
وخضبت بالدم اثراك مثالمه
وارتد فانح دنيا الشرق ما نفثت
منه (الأكاذيب) أو أجهدت مواقعه
ثم انجلى الليل من (مصر) ولست أرى
إلا السكوت وإن لم يخف دافعه
و (سادة) إن مشى التيار مصطخبا
ألديهم منافذ تطمر مواقعه
من كل حاشد كرسيه منا
وشيخ «سانحة» تزهى مطامعه
وبين هذين جمهور يبيت على
ذل ويصبح ذل ويتبعه

• • •

آمنت بالظلم يذكى النار فى كبدى
وتلهب الشعر فى روحى فواقعه
وكم لوحت بالسوط مانعة
كف (الأجير) استفزتنى مقارعه
لا السكيت يقوى على صوتى فيسكته
إذا هتفت ولا الطاغى يمانعه
أأستجيب اصمتا بين قافلة
قد يعترضها من الوادى بلاقعه؟
ورائد الركب سكران الخطى ثمل
جنت خطوات على شوك أصابعه
دهره أن هذا الليل ساخطة
تمتد فى مشرق الدنيا سوافعه
وما درى أن فجرا لاح يرمقنا
من كوة الأفق المكدود ساطعه

• • •

وشاعر كلما أوفى على أمل
مات على سرح الذكرى طلائعه
مستوفز القلب لم يجمع على دعة
من الحياة ولم تهدأ نوازعه
يشقى ودون أمانى النفس مهزلة
من السياسة ما انفكت تصارعه
و (زمرة) من بقايا الداعين أبت
أن تستريح ، وشر السم ناقعه
مدت أحابيلها فى كل زاوية
كما تمد شوك الشاب وقرعه
سياسة باسم حكام يجرعها
دون تحل من الفوضى شرائعه
لكنه الحكم كم هدت معاوله
شعبا وكم شردت جيلا مقامعه
عهد من الظلم إن دنا ارتقى أملا
فسوف تطوى وإن جلت فواجعه

القاهرة
ابراهيم الوائلي

مصلحة المبانى الأميرية

تفتيش مبانى الدلتا

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش مبانى الدلتا بطنطا لثانية ظهر يوم السبت ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٥٠ عن عملية إنشاء عنبر المبا كينات بمنشق بهوت المركزى ويمكن الحصول على المستندات من التفتيش المذكور بطلب على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ١ جنيه ٣٥٠ مليما بخلاف أجرة البريد وقدرها ١٠٠ مليم . وكل مقاول لم يسبق له التعامل مع التفتيش المذكور أن يرفق بطلب المستندات سابقة أعماله . كما وأنه يجب ارفاق تأمين مؤقت بواقع ٢٪ من قيمة العطاء.

٢٠٦٠

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

قصة أديبة سورية :

لا أخفي أن شخصية « الآنسة » هجران شوقي كانت موضع شك لدى فريق من الأدباء ، ولولا أن أديباً واحداً بقي على شكه وود أن يسبقني إلى الكتابة حول هذا الموضوع ، لما تناولت القلم لأحدث قراء الرسالة عن هذه الشخصية « الأنثوية » التي لم أشأ أن أماط عن وجهها الباب حتى اليوم .. لغرض مقصود !

هذا الأديب الصديق يريد أن يقول للقراء : إن « الآنسة » هجران شوقي ما هي إلا أديب سوري يخاطبني بلسان فتاة ؛ يريد أن يقول هذا ويكتفي به ، لأنه لا يملك دلائل الإثبات .. حسبه أنه مطمئن إلى هذا الظن ، مقتنع به ، عازم على أن يذكره على صفحات الرسالة ، معرباً عن عجبه من أن أسمح لمكان التواضع بأن تتقبل الخديعة !

وقال الأديب الصديق : إنك لا تستطيع أن تثبت صحة هذه الظنون ، ومع ذلك فإني أقرر ذكاءك .. ذكاءك الذي صمد حيث لم يصمد ذكاء الآخرين ، وأعني بهم هؤلاء الذين قرأوا رسالة « الآنسة » هجران الأخيرة فتبخرت شكوكهم حيث امحت لوعة الشعور من خلال السطور بلوعة الشعور « الأنثوي » الصارخ من وطأة القيد وظلمة السجن وقسوة السجان .. لقد آمنوا بأن الصرخة صادقة كل الصدق ، بريئة كل البراءة ، وأن من ورائها حقاً شهيدة المجتمع وحبيسة الدار ! !

إني أهنئك يا صديقي على هذا الذكاء ، وأؤكد لك أن ذكاء المتواضع لم يتقبل الخديعة في يوم من الأيام .. هذه حقيقة أفضيت بها إلى بعض الناس منذ أشهر ، كما أفضيت بها إلى هؤلاء الذين تبخرت شكوكهم بعد أن قرأوا رسالة هجران الأخيرة .. كل ما دعاني إلى أن أظهر بمظهر المخدوع أمام الكثيرين وأمامها هي ، رغبة أخص ، هو أني كنت أريد ألا أعلق في وجهها الباب لغرض مقصود .. هذا الغرض هو أن تحوم الذكاء يوماً فتطل من فرجة الباب بوجهها الحقيقي الذي لم تتغير الألوان والمساحيق .. ولم يخب ظني فقد أقبل اليوم المنتظر ، اليوم الذي خاب فيه الذكاء أو خانتها الذاكرة ، فنسيت أن تمسح عن وجهها قليلاً من الطلاء قبل أن تطل برأسها من فرجة الباب المفتوح ! !

هذا هو دليل الإثبات الأول الذي يعوزك يا صديقي أن تقدمه ، والذي يجعل ذكاءك محصوراً في دائرة ضيقة محورها الظن الذي تحسه النفس ويفتقر معه العقل إلى برهان .. هذا البرهان الذي كان يمكن أن تضع عليه يدك في رسالة هجران الأخيرة وهي تشكو وطأة القيد وظلمة السجن وقسوة السجان ؛ عد إلى رسائلها الأولى ثم قف طويلاً عند هذه الرسالة الأخيرة ، وقارن بين بعض الظواهر هنا وبعض الظواهر هناك ، وأنا واثق من أنك ستجد المفتاح الضخم الذي يمكنك أن تضعه في ثقب الباب لينفتح ، ويكشف لك عما وراءه من معجزات يسطع فيها الضياء .. بعد هذا دعني أقدم لك عدداً من المفاتيح بدلاً من مفتاح واحد ، ولك أنت أن تضع النقط فوق الحروف كما يقول الصحفيون !

لقد قلت في ردي على أول رسالة من « الآنسة » هجران إني اعتقد أنها أديب سوري يخاطبني من وراء قناع .. وحين تلقيت رسائلها الثانية التي ظهرت فيها مظاهر الغاضبة والعاتبة على هذا الاعتقاد الذي لا أساس له من الصحة كما تعبر البلاغات الرسمية رحت أعتذر إليها عن هذا الاعتقاد « الخاطئ » الذي كان مصدره أنني لم أقرأ لها شيئاً من قبل في الصحف والمجلات .. قالت هذا وأنا باق على يقيني الأول لم يشككني فيه أنها عازمة على الحضور إلى مصر في المؤتمر الثقافي لتثبت لي شخصيتها الأنثوية ، ولا أنها بعثت إلى بعنوانها في دمشق كوسيلة من وسائل هذا الإثبات .. فقد وأنا واثق من أنها لن تحضر ، ولم أحاول أن أكتب إليها على ذلك العنوان لألقي مرة أخرى من أنه عنوان لا وجود له ، وقد أثبتت الأيام في الحالين صدق هذا اليقين ! !

وقالت الأديبة السورية أم وفا السيدة وداد سكاكيني وهي تزورني في وزارة المعارف عقب انتهاء المؤتمر الثقافي : أود أن أقول لك إن شخصية « الآنسة » هجران شوقي شخصية خيالية ..

وقالت لها زميلتى الفتاة البارعة : وأود أن أؤكد لك أيضاً كذلك ! وارتسمت فى وجهها صور من الدهشة وهى تقول مرة ثانية : ولماذا يزول حشر له قصائدها ورسائلها ما دمت تعتقد أنها شخصية مستعارة ؟! وأجبت وقد علت شفتى ابتسامة ذات معان شتى : الأول لأنى لا أريد أن أعلق فى وجوههن الباب الذى يفضى إلى أن شخصيتها الأنثوية تحتاج إلى إثبات ، وقد برهنت على ذلك حتى الآن بتخلفها عن الحضور فى المؤتمر الثقافى ! أما السبب الأخير فهو أننى راض عن إنتاجها الأدبى وهو من هذه الناحية جدير بالنشر حرى بالتشجيع ، وأنا لا أهتم بمن قال قدر اهتمامى بما قال . . وانقضت بعد ذلك أيام وأشرت إلى هذا الحديث إشارة ذات مغزى على صفحات الرسالة ، حين قلت « للآنسة » هجران إن السيدة وداد سكاكينى قد سألتنى عنك . وأرجو أن تحملى إليها خالص التحية ! !

وحدث بعد ذلك أن عاد الصديق الأديب الأستاذ حبيب الزحلاوى من رحلته الرائعة إلى سورية ولبنان لينقل إلى بعض ما سمعه هناك ، وليطالعنى على ما طالعته به السيدة الفاضلة وداد سكاكينى . وقلت للأستاذ حبيب فى معرض الحديث الذى واجهته فيه عن صدق ظنونه ، هون عليك ياصديقى فما كتبت يوماً من هذا الموضوع ! وأمل قارئاً يسألنى : على أية دعامة من الدعائم أقمت يقينك الأول بأن « الآنسة » هجران شوقى ما هى إلا أديب يحادثك من وراء قناع ؟ والجواب عن هذا السؤال هو أن أسأله : أتظن أن هناك أديبة بلغت كل هذا النضج فى تعبيرها النثرى ، وكل هذه الأصالة فى سواعها الشعرية ، ثم لا تحاول مرة واحدة أن تظهر فى ميدان الأدب لولا هذه النافذة البارزة التى دفعتها إلى الظهور ، يوم أن تحدثت عن قصيدة الشاعر يوسف حداد ؟ ! ثم هل تظن مرة أخرى أن هناك من يزهد فى المجد الأدبى كل هذا الزهد ، وهو يعلم أن كلا من شعره ونثره يمكن أن يطرق الأبواب فى كثير من الثقة والاطمئنان ؟ ! . . مع النقط فوق الحروف كما يقول الصحفيون ! !

إن الذكاء كما قلت لك كثيراً ما يخون ، ولو لم تشاء « الآنسة » هجران فى ذكائها ما تعثرت قدماها فى هذا الطريق الذى شمدت أن تسير فيه . . لقد حدث أن تعثرت قدماها فسقطت ، وحين سقطت اصطدم وجهها بصخور الطريق ، فتمزق النقاب الذى كان يخفى وجهها فظهر على حقيقته للعيون ! معذرة يا آنسى ، فقد حرصت من جهتى على أن أرسم لك خط تحرير ولكنك كنت فيه مسرعة ، لا تكادين تلتفتين لحظة إلى الوراء . . لو أنك مددت عينيك مرة واحدة إلى الخلف لما تعثرت قدماك ، ولما اصطدم وجهك بصخور الطريق ، ولما تمزق النقاب ! أقصد لو أنك تذكرت ما جاء برسائلك الماضية من أنك حرة طليقة تملكين من هذه الحرية التى لا تحد ما يهيىء لك الحضور إلى القاهرة لتجلسى إلى هذا وتتحدثى إلى ذاك ، وتغشى المجتمعات الأدبية فى بلد غريب لتشاركى فى أمور الأدب والفن . . لو تذكرت هذا كله لما شكوت فى رسالتك الأخيرة ظلم المجتمع وقسوة التقاليد ، ذلك المجتمع الذى فرض عليك أن تكونى رهينة القيد وهذه التقاليد التى ضربت من حولك نطاقاً من الأسر جعلك حبيسة الدار رهينة الجدران . . أى منطق هذا الذى يؤكد لنا اليوم أنك سجينة مقيدة ، بعد أن أكد لنا بالأمس أنك حرة طليقة ؟ إنها هفوة من هفوات الذكاء . . الذكاء الخائن فى أحرج الأوقات ! وهذا هو المفتاح الضخم الذى قدمته منذ أسابيع لهؤلاء الذين تحيرت ظنونهم حول شخصية « الآنسة » هجران المفتاح الذى يستطيعون أن يضعوه فى ثقب الباب ليتفتح ، ويكشف لهم عما وراءه من حجرات يسطع فيها الضياء ! !

ورب سائل يسألنى وقد تجمعت بين يديه شتى الخيوط التى تنسج أثواب اليقين : لقد كنت تعتقد أن عنوانها الذى بعثت به إليك منذ أشهر ليس له وجود فى دمشق ، فلماذا بعثت إليها آخر الأمر بتلك الرسالة الخاصة التى أشرت إليها منذ قريب فى « التعقيبات » ؟ لقد أقدمت على ذلك لأنى بأخر سهم فى جعبة الاعتقاد ، الاعتقاد الراسخ بأن الذى يكتب إلى فتى لا فتاة . . . وكنت واثقاً كل الثقة من أن رسالتى الخاصة ستعود إلى مرة أخرى وعليها إشارة مصلحة البريد فى دمشق بأن هذا العنوان لا وجود له ، وقد كان ! . . وبقى هناك غرض مقصود من وراء هذه الرسالة التى كنت أتوقع أن ترد إلى وهو أن أقدم الدليل المادى القاطع لبعض من يهمهم أن يطلعوا عليه ، ومن يتهم « الآنسة » هجران شوقى إذا حاولت أن تكتب إلى

عاطفية وطنية !!

ومع ذلك فأنا أود أن أقول « للآنسة » الفاضلة وللكثيرين إني لا أهتم بمن قال قدر اهتمامي بما قال . والدليل هو أن « الرسالة » قد نشرت لها في العدد الماضي قصيدة « القمر » ، ولا يزال لها عندي قصيدتان سأنشرهما في الأعداد المقبلة .. كل ما أرجوه هو أن تعتقد « الآنسة » هجران بأنني حتى هذه اللحظة صديق ، وليس عليها من بأس إذا هي كشفت للقراء عن إسمها الآخر ، إسمها الصريح .. إسمها الذي أعتقد أنني أعرفه ، والذي تحدثت عنه إلى عدد من الأصدقاء !!

بيتان لجميل بثينة :

كنت أستذكر بعض محفوظاتي من الشعر لجميل بن معمر العذري ، وهناك استوقفني بيتان لم أستطع أن أمر عليهما مر الكرام ، وهذان هما البيتان :

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله !

والذي استوقفني في هذين البيتين هو الشطر الثاني من البيت الأول ، أي قول جميل : لو أبصره الواشي لقرت بلابله .. وقد رأيت في معنى قوله هذا خطأ بحق الواشي وتغييرا لطبيعته . فالواشي المتلصص على هناء المحبين أن تقر بلابله عندما يرى الحب قانعا من حبيبته بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى . بل سيضطرم غيظه وتثور ثائرته فهو لم يتلصص ليراهما على هذه الحال ليس فيها لوم ولا تثريب .. وإنما ليراهما في حالة مريبة وآنئذ تقر بلابله !

وإني أرى أن يكون قول جميل ، وربما كان هو الأصح :

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو ابصره الواشي لثارت بلابله!

فأرجو من حضرة الأستاذ الكريم إفادتي على صفحات الرسالة الغراء : أنظرتي خاطئة ؟ أم الخطأ من الشاعر ، أم من الرواة ؟ ولكم خالص الشكر والتحية .

(الرقة – سورية) محمود زكي الرجبي

المعنى الذي أود أن يطمئن إليه الأديب الفاضل هو أن هذين البيتين من شعر جميل بثينة ، لا غبار عليهما من ناحية النقل الأمين لشعر القدماء .. أما الشطر الثاني من البيت الأول فلا غبار عليه أيضا من ناحية الصدق الفني أو من ناحية السلامة التعبيرية .

إن جميل بثينة يريد أن يسر من حقيقة هواه ويريد في نفس الوقت أن يفصح عن سر أساه .. فحقيقة الحب عند جميل أنه عذري لم تدنسه شهوة ، ولم يبت بطهره إثم ، ولم تذهب بمعانيه نزوات الجسد أو سقطات الغواية . وسر الأسى عند جميل أن الوشاة لم يتقوا العدل ولم يراعوا الضمير ، حين أطلقوا خيالهم الشائن حول هذه العلاقة البريئة الطاهرة بين محب ! إنهم أصحاب شكوك وأوهام ، لأنهم لم « يبصروا » الواقع الذي لا يخرج منه بغير الأماني الكاذبة والوعود الباطلة !

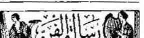
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله

هذا الواقع الذي ينتهي به جميل ، لم « يبصره » هذا الذي يتهم به آثما من حبه لبثينة ، ولو أبصره لما « تخيل » .. إنما تخيل أن كل محظور قد وقع في عالم التصور ، وهنا تبدو « الرؤية الشعرية » واضحة كل الوضوح صافية كل الصفاء ، لأن هذا الواشي الذي يجور على الحق وينأى عن الإنصاف ، قد اتخذ الخيال الآثم سبيله إلى الظنون ، ومن طبيعة الظنون أن تثير الخواطر حين تفترض وجود الشبهات . فلو أن الوشاة قد رأوا بعين الحقيقة لا بعين الخيال ، لقرت بلابلهم ، وهدأت مراجلهم ، وأنصفوا الحقيقة المظلومة ودعوا الواقع الشهيد . ولكنهم للأسف لا يبصرون .. وإنما يتخيلون !!

وإذن فالمعنى الذي يهدف إليه الشاعر مستقيم لا التواء به وواضح لا غموض فيه ، ولو رجع الأديب الفاضل إلى الشطر الثاني من البيت الأول ، لأدرك أن « الحركة النفسية » في قول جميل : « لقرت » بلابله ، مرتبطة كل الارتباط « بالحركة المادية » في قوله : لو « أبصره » الواشي .. وهنا هي « الرؤية الشعرية » الصادقة التي تعتمد أكثر ما تعتمد على دقة « الملاءمة النفسية » بين حركتين : تتمثل إحداهما في حدود الواقع الحسي وتتمثل الأخرى في حدود الواقع المتصور .

مع الشاعر الشهيد في العراق :

يصر حضرات الذين بعثوا إلي برسائلهم حول محنة الشاعر



مسرحية ابن جلا

للأستاذ إسماعيل رسلان

ما كنت أحب أن يتصدى ناقد لمسرحية ابن جلا دون أن يكون ملما بحوادث المسرحية التي ينقدها ، ويخيل إلى أن الناقد لم يكلف نفسه عناء مراجعة مقاله بل مراجعة نقده على الأصل ، فتراه ينتقد حوادث الرواية فيقول « وبعد ما تمر رغبته » أي الحجاج « في الزواج من هند بنت أسماء تلقى بنفسها في النهر » والله يعلم أنه ما دار في خلد المؤلف أن يصور الأهوازية باغية نفسها . ولكن ناقدنا البصير خيل إليه أن الأمر كذلك مع أنه يدبج الصفحات الطوال في انتقاد البواعث الخفية للأشخاص ، وهذا مثل يدل على قدرته في تفهم البواعث والحركات ، فالأهوازية كما رآها من شاهد المسرحية إذا احتفظت بقوة شخصيتها وإباءها بنفسها إلى آخر مراحل الرواية فهي لم تلق بنفسها في النهر تخلصاً من الحياة أو من حب مردى به ، وإنما ألقت بنفسها في النهر هرباً من نفسها أولا ثم من عقاب صارم كان ينتظرها على يدي الحجاج ، وشتان بين هرب متحدى ومقصود ، وبين محاولة للانتحار في استسلام واستخذاء ! !

ويحسب صاحبنا أن المسرحية ينبغي « أن تصور الواقع التاريخي » فلا يجوز لها أن تخلق شخصية ليس لها سند من التاريخ المضبوط ومن هنا كانت شدة نقده للمؤلف إذ خلق شخصية الأهوازية . وقد حسب صاحبنا أنه وضع على اكتشاف خطير إذ تراه يقترح على المؤلف أن يضع (هند بنت أسماء) بدلا من الأهوازية ، وهو في كلا الحالين واهم ، فإن المسرحية التاريخية من حقها أن تسجل ما أهمل التاريخ من حالات إنسانية لم يكن لها أن تجد طريقها إلى سجل التاريخ كما كان يعرفه الناس وقتئذ . ومما لا شك فيه أن الحجاج كان يحيا حياة عاطفية ما ، ولا شك أيضاً أن المؤلف قد أصاب إذ خلق شخصية تسد تلك الفجوة التي أهملها مؤرخو العرب . ولو أن صاحبنا قد أنصف لعرف ما ينطوي عليه اقتراحه من تعسف واشتطاط . فلو أن الأستاذ محمود تيمور بك قد أخذ باقتراح الناقد البصير وتخفف واستغل أسانيده التاريخية لما وسعه أن يجعل من هند بنت أسماء إلا شخصية ثانوية لا تحتل من حياة الحجاج إلا سنة أو بعض سنة ثم لا يلبث أن يسلوها

أين هذا مما وفق إليه المؤلف من ابتداع شخصية الأهوازية التي لازمت الحجاج على المسرح من شطر حياته إلى منتهاها ، وكانت مثار الحس فيه وباعثه على أن يظهر ألوانا متعددة

وما أحسبني كنت في حاجة في يوم من الأيام أن أقرر بديهية من بديهيات التأليف المسرحي ، تلك أن الشخصية المسرحية يشترط فيها أن تكون متساوقة مطردة ، ولكن ناقدنا ألجأني إلى ذلك إذ شكا واستنكر أن يكون الحجاج صخري القلب مشغولا بنفسه وأطماعها لا تلين له قناة إلى آخر المسرحية ، ولو أنه استخذى للحب ولان للأهوازية وتنكر لطبيعة تلبية لما يريد ناقدنا ، لأنكرنا من المؤلف صورة شوهاء للحجاج لا تمثل شخصية الحجاج التاريخية ، وكذلك الحال بالنسبة للأهوازية إذ صورها المؤلف مدمجة عاشقة تلقى بنفسها إلى التهلكة من أجل الحب ، لا تعيش إلا له ولا تحيا إلا به ، فإن لم يبادلها الحجاج حبا بحب عاشت من أجل هذا الحب وقد انقلب في دمها كرها ، ولكنها لا تنطوي إلا ما يعتمل في فؤادها الهياس من متناقض العواطف والأهواء .

الرافق المطبوع الأستاذ عبد القادر الناصري على أن أفسح المجال لشاعرهم الفياضة بالعطف عليه ليطمئن إلى أنه لا يقف وحيدا بلا نصراء . هذا الفن الكبير الذي يسمون إليه قد سجلته لهم شاكرا على صفحات الرسالة ، وأنا كفيل اليوم باختيار قصيدة للنشر في العدد القادم للأستاذ جعفر حامد البشير ، مقتنعا أنه يمكن أن تقرب من هذه الشاعرية الكريمة فيأنس لها ما فيها من سحر العاطفة وصدق الوفاء .

أنور المعداوي

فأين ناقدنا من هذا التطور السحيق من مكنونات القلب البشري، وهو لم يحاول أن يستبطنها ليحرك كنهها؟ إنه مشغول عن كل هذا بما ظنه الخروج على قواعد التأليف الصحيح من جعل شخصية الأحوازية ثائرة مهددة على الدوام إذ يقول «فموقف الأحوازية من الحجاج عندما سمعت أنه سيتزوج من عفراء، هو نفس موقفها منه فيما يختص بأم كلثوم، وكذلك فيما يختص بهند، فهي تثور ثم تهدد ثم تعود لتقف نفس الموقف» وهذا الذي يعده الناقد عيباً هو أسمى ما يصل إليه المؤلف المسرحي من تصوير الشخصية المتماسكة المستقيمة المطردة. فإذا أضفنا إلى ذلك أن المؤلف قد صورها من واقع الحياة كامرأة حائرة بين حبها الشديد وبين كبريائها تارة تسامح لحبها وطوراً تصارع لكبريائها لما ترددنا في الحكم بأن المؤلف قد بلغ غاية التوفيق في تصويره للأحوازية

وما أحسبني في حاجة بعد ذلك إلى بيان فساد رأي الناقد في الأحوازية إذ يقول «كان موقفاً سلبياً في كل موقف التحمت به» يعني الحجاج، وهو يعلم أنها لم تلاق الحجاج مسارقة إلى احتلال القناة؟ وأنها استحثت لتمضي له أمراً؟ إذ أمرها بالذهاب إلى مكة «انقادت إليه متخفية في صحبة عبد الله بن جعفر في اللحظة التي كان يخطب فيها أم كلثوم لتفسد عليه خطته ثم فرت منه لتعود إليه متخفية في ثياب فتى أعرابي لتقتله» فهذه هي المواقف السلبية التي يبرزها الناقد إلى الأحوازية لا هي؟ أو ترى المواقف الإيجابية التي كان الناقد يريدها من المؤلف؟ أو بعد هذا الصراع الذي صوره المؤلف بين الاثنين يصر الناقد على أن الأحوازية كانت سلبية الموقف؟

ويظهر أن ناقدنا قد غاب عنه أن الحجاج كان يجدب الحياة العاطفية الشرابية وأن المؤلف قد نجح في تصوير ذلك، فكان الحجاج يتخذ الحب دافعاً وسيلة إلى مطمح من مطامعه السياسية كما فعل مع بنت عبد الله بن جعفر وغيرها، وكما أعرض عن رفيقة صباه عفراء مع شدة جمالها وذكريات صباه معها فقد رفضها إذ لا مطمع من ورائها، وكانت الأحوازية هي المرأة الوحيدة التي نالت شيئاً من اهتمامه إذ لازمته ملازمة الظل وكانت تهاجمه في كل مكان، فلو لم تفعل ذلك لما اهتم بها أصلاً، وحتى هذه الأحوازية قد استخدمها في مآربه السياسية إلى جانب أنه أنزعها لأن في طموحها هي الأخرى ما يعينه بتجاوبه في هذا السبيل

بقي بعد ذلك أن أشير إلى أنه يخيل لصاحبي أن المسرحية يجب أن تقوم على الصراع الشائق وهو عنده «الأساس الأول في التأثير على المشاهد في مثل هذه المسرحية التاريخية» والمشاهد العاطفية عنده هي المشاهد التي تجري بين الحجاج والأحوازية كما كرر ذلك مراراً، وهذا وهم كان يشيع في أواخر القرن الماضي، وأحب أن يعرف حضرة الناقد البصير أن المسرحية اليوم قد تقوم على صراع ذهني تضطرم فيه شهوات الغلبة والسيطرة وتذوى فيه العواطف الساذجة من حب وهيام.

اسماعيل رسلان

مسرحية «ابن جلا»

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

طالعتنا الرسالة الغراء بثلاث مقالات مختلفة عن هذه المسرحية؛ الأولى للأستاذ عباس خضر، والثانية للأستاذ حسب الرحلاوي ضمنها رأيه ورأي الأستاذ أحمد رمزي بك في الإخراج، والثالثة للأستاذ أنور فتح الله

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اهتمامهم المشكور بهذه المسرحية ومؤلفها ومخرجها وبفرقة المسرح المصري الحديث التي افتتحت بها موسمها

غير أن التفاوت الكبير بين آراء حضراتهم لدرجة غير معهودة أمر يدعو إلى التفكير بالرغم من دقة بعض الموضوعات التي تناولوها واختلاف نقاد الغرب أنفسهم فيها

فبينما يرى الأستاذ خضر مثلاً أن هذه المسرحية قد بلغت غايتها من حيث معالجة الحجاج، ويرى الأستاذ الرحلاوي أن مؤلفها تيمور بك قد فتح فتحاً جديداً في الفن المسرحي العربي، يرى الأستاذ فتح الله أنها قد فقدت القدرة على بعث الحياة والإثارة إلى آخر ما قاله محاولاً الحط من قيمتها استناداً إلى رأي الدكتور

منصور في كتابه (في الأدب والنقد). ودعت أزعم أن رأى الدكتور منصور خطأ ولكن لعل الأستاذ أخطأ في تعليقه من جهة وفي اعتباره الرأي الوحيد الذي «يحدد الفرق بين التاريخ والمسرحية التاريخية» من جهة أخرى. فهناك كما نعلم آراء شتى في هذا الموضوع. فرأي يقول بأن التزام التاريخ يفسد المسرحية من الناحية الفنية لأن الفن تقليد لروح الأشياء، والبراعة شرط أساسي. ونحن إذا قلدنا التاريخ كما هو لسلبنا الفن براعته، والنتيجة الفن يصبح عبثاً لا طائل وراءه إذ أنه في هذه الحالة لا يعطينا شيئاً خلاف ما يعطينا إياه التاريخ

ورأي آخر يقول بأن التزام المؤلف المسرحي للتاريخ لا يقلل من شأن إنتاجه أنه ما دام يتغلغل في بواطن شخصياته ويستنطقها بما يعين على تفسير الحوادث

ورأي ثالث يقول بأن هناك لحظات نادرة تكون فيها الحقائق التاريخية أغرب وأروع وأكثر إرضاء للنفس وأوثق صلة بالفن من أي قصة من القصص. ولئن أقبلت أمثال هذه اللحظات النادرة على فنان مسرحي ممتاز فإن الفن والتاريخ يسيران جنباً لجنب في توافق تام

ورأي رابع يقول بأن المسرحية التاريخية إن هي إلا مظهار للإنسان لا باعتباره حيواناً اجتماعياً كما في الملهاة ولا باعتباره طامعاً للخلود كما في المأساة ولكن باعتباره أداة سياسية في المجتمع أي باعتباره عاملاً ساهراً على مصلحة الجماعة التي يعيش فيها. ومن ثم يجب على الفنان المسرحي أن يصور بطله التاريخي بحيث تمحي الفردية فيه أمام عنصره السياسي الذي يمت إلى الجماعة بصلة هامة .. الخ

ولا اتفاق بين نقاد المسرح إلا على أن طبيعة حوادث التاريخ تغاير طبيعة الموضوع المسرحي، وأن التاريخ وإن كان - فرضاً - سجلاً واقعياً إلا أنه لا يمس غير الجزئي من الأمور، في حين أن المسرح يعنى بالكلي منها طبقاً لقانون الاحتمال أو الضرورة. التاريخ يصور ما حدث فعلاً - إن صدق المؤرخون - بينما المسرح يصور النماذج العليا التي يخلقها الانتخاب والتخيل. التاريخ يحدد واقعاً معيناً بينما المسرح يبتدع المثال الكامل

وإذن فلا عتب على المؤلف تيمور بك في تصوير شخصية الأهوازية من مخيلته دون تصوير امرأة «حقيقية». وكنت أرجو أن يقرأ الأستاذ فتح الله مسرحيات درنكووتر التاريخية ليرى كيف يبتدع هذا الفنان الجبار من مخيلته شخصيات لا وجود لها في التاريخ.

كذلك كنت أرجو أن يدرك أن الصراع لا يكون حتماً بين شخصيتي البطلين وأن الصراع المسرحي ليس (خناقة) تدور بينهما. فلو أنه أدرك هذا لأعفانا من كلام طويل رتب على ذلك

كذلك قوله عن تكرار المشاهد العاطفية يحتاج إلى مراجعة لأن كبار المؤلفين أمثال شكسبير كثيراً ما لجأوا إلى ما يشبه التكرار إما بالمعارضة Contrast أو بالمطابقة parallel تفسيراً للفكرة الأساسية في التمثيلية وتوضيحاً لشخصياتهم

كذلك رمي تيمور بك بالإساءة إلى صورة الحجاج التاريخية لأنه ما صوره متسامحاً مثلاً بحجة أن الحجاج (لا يتسامح أبداً) ونسي الناقد الفاضل أن الحجاج إنسان يجوز عليه ما يجوز على بني البشر وأن المسرح لا يعبأ بسيرته الواردة في كتب المدارس الثانوية وإنما يتغلغل وينفذ إلى الضمير، وربما كانت أهم ميزة لتيمور أنه استطاع فهم ذلك واستظهاره

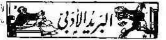
أترك هذا وأغفل ما كتبه عن بناء المسرحية وعن (العقدة) لأناقش ما هو أجدى من ذلك وهو رأي العالم الفاضل أحمد رمزي بك بصدد الإخراج:

وأبادر فأقول إني أوافقه تمام الموافقة على أن المخرج يجب أن يكون ذا ثقافة وافرة واطلاع عميق على النصوص التاريخية وعلى الآثار الإسلامية والمخطوطات ونظم الملابس والإشارات والأسلحة والأثاث والشعار الذي يسود كل عصر

وأوافقه أيضاً على أن كل عصر إسلامي يمتاز عن الآخر بميزة خاصة تميزه من هذه النواحي

لكن هل معنى ذلك أن المخرج يكون «بهلوانيا» حتماً إذا لم يستطع مراعاة مطابقة مناظره وملابسه للحقيقة التاريخية حتى ولو لم يكن في وسعه - مادياً مثلاً - تحقيق ذلك!

وهل يصدقني حضرته إذا قلت إن الروايات التاريخية يجوز



ألفاظ في أبيات :

في هذا الركن من « البريد الأدبي » بالرسالة الغراء التقيت مع الأستاذ الفاضل عبد الوهاب حمودة في معنى لفظة «الفرقان». واليوم يسرني أن ألتقي معه مرة أخرى في ألفاظ أخرى وردت في مقاله (همزية شوقي) المنشور في مجلة « لواء الإسلام » عدد ربيع الأول فأقول :

يعقب الأستاذ على بيت شوقي من همزيته :

والوحي يقطر سلسلا من سلسل
والوح والقلم البديع رواء

بأن لفظة (البديع) قلقة في موضعها نازلة عن درر عقدها لأن « وصف القلم « بالبديع » وصف عادي نازل ، لا يقوم بتصوير ما للقلم من جلالة وقدسية وسطر وخصوصية »

وبإرادة أقول : لفظة (البديع) في البيت ليس المقصود منها الجمال في وجه الصفة ، وإنما هي بمعنى « المبدع » وهل ثم جلالة وقدسية وراء الآية « الله بديع السموات .. » . وإذاً فاللفظة (غير قلقة في موضعها) وإنما هي نازلة في منزلها حالة في محلها ناجحة لا ترتم

ولست أدري كيف ينتقد الأستاذ بيت البوصيري :

رق لفظا وراق معنى وجاءت
في حلاها وحليها الخنساء

بأن « التشبيه بالخنساء في هذا المقام غير لائق ولا مناسب » وليس فيه أي شيء من الجمال الفني » بينما نراه يعلق على بيت شوقي :

أنت الجمال بها وأنت المجتلى
والكف والمرآة والحسناء

إخراجوا علاليس ومناظر عصرية ؛ وإذن فإخراج الجند الشاق علاليس القرن العشرين ليس أمراً مضحكا !!

وهل يصدقني إذا قلت إن الإخراج الواقعي أي محاولة تمثيل الواقع حرفيا هو من أسوأ مذاهب الإخراج ؛ وإذن فكتابة الأعلام بالخط النسخ بدلا من الخط الكوفي مثلا لا تثير كثيرا ولا سيما وأنا لم يقصد المؤلف تصوير الحجاج بن يوسف الثقفي بقدر ما قصد تصوير « الإنسان » و « المثال » و « الرمز » !

لقد كنت أرجو أن يتحدث النقاد الأفاضل عن الإخراج في صميمه وموضوعيته ويقدروا الجهد الذي بذله المخرج في إبراز الناحية السكانية والناحية التي قصد إلى استجلائها المؤلف . كنت أرجو أن ينوهوا بما لوحظ من تضخيم قطع الأثاث ورفعها على قواعد عالية وما شاكل ذلك في كل ما يتصل بالحجاج ليطابق هذا ما كان يشتمل ويحتدم في باطنه من استعلاء

والتمثيل — إن أقصى ما قيل فيه أن زكي طليمات قد بلغ الذروة ... ولكن ما هي هذه الذروة وأين مكانها و كيف بلغها جهدا ما لم يخبرنا به أحد لم يقولوا لنا كيف تقلب بين مراحل دوره المتفاوتة و كيف أعطى لكل مرحلة ما يناسبها من نفسه وجهده وأعصابه ودمائه ، وكيف تمكن من إخفاء شخصيته الحقيقية وإبراز شخصيته الثانية لدرجة أننا لم نعرفه على خشبة المسرح لأول وهلة ، وكيف صمد لمختلف المواقف والانفعالات بالرغم من دوران الرواية كلها حوله نحو أربع ساعات تكاد تكون بغير انقطاع

* * *

وبعد فبقدر ما وفق الأستاذ عباس خضر في كلمته المتزنة التي أملتها روح التشجيع الواجب — فيما أرى — إزاء مؤلف أخلص الفن محض الفن حتى صار في مقدمة مؤلفينا، ومخرج وطد العزم على أن يجعل من فرقته نواة لمسرح الغد .. وبقدر ما وفق الأستاذان رمزي بك والمازني في توخي الصراحة والنزاهة والقصد حتى في قسوتهما أحيانا .. لم يستطع الزميل أنور فتح الله إخفاء تحامله بين سطور كلماته الغاضبة

ولولا تعقيب (الرسالة) عليه بما استعمله لمعارضته جهراً بالأسف على ما انساق إليه بلا مسوغ .

عبد الفتاح البارودي

ومنه :

أنت الأمور في ظلالته ولم ... تحن السلاف ولا سلا الندماء

من الكرام وفيهما ما فيهما من ألفاظ (الرآة والحساء ، والسلافة والندماء) وهي من أخوات « الطلساء » في بيت البوصيري منزلا ومقاما!

وفي بيت شوقي :

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا ... منها وما يتعشق الكبراء

يقول الأستاذ حمودة : إن لفظ القافية (الكبراء) قلقة ضعيفة . وأقول : لا قلق في لفظة القافية ولا ضعف لأن المقصود « بالكبراء » كبراء النفوس والأخلاق والعمائر وكل محمود من الصفات التي ترفع قيمة الإنسان والإنسانية ، وليس المعنى هو ما تفهمه العامة من قولهم « فلان من الكبراء .. » أي من أصحاب الرأي والجاه والصامت والناطق . وفرق كبير بين هذا الكبير وذاك الكبير .. وفي الآثار ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس .

وبعد : فالشكر أزجيه إلى الأستاذ العالم الأديب على مقاله « التشريحي » القيم . هدانا الله جميعاً إلى سواء السبيل ، والسلام

« الزيتون » عمر نايد

الكتب السامة

قالت الصحف في تفاصيل حادث سفاح كرموز إن المحققين عثروا أثناء تفتيش منزل هذا السفاح على مجلة بوليسية ، تدور إحدى قصصها حول طريقة القتل ، وإخفاء الجثة .

ولعل الكثيرين مروا بهذه الأسطر مر الكرام .. أما أنا فقد وقفت طويلا عندها .. لأتأمل مدى تأثير الطباعة في نفس الشباب ، وهو في هذه السن المبكرة من العمر .. وكيف تخلق هذه الكتب السامة من الشباب الطاهر شياطين ، يولعون بالجريمة ، تحت تأثير ما طالعوه من مطالعات سامة ، بثت في نفوسهم سمومها

ومطالعات غرامية ، تأثيرها الفتيات .. تصور لهن الحياة على غير حقيقتها ، وتزين لهن الطريق الشائك . ومن ذا لا يلحظ أثرها في نفس الفتاة الساذجة من أثر الروايات البوليسية في نفس الشاب !

وما يقال عن الكتب يقال عن الأفلام .. فالأفلام البوليسية لها تأثيرها كذلك في نفوس الشباب .. والمفروض أن الأفلام والأقلام كلها وسائل ثقافية ، يستعان بها على توجيه النشء الوجهة النافعة ، فإذا انحرفت هذه الوسائل عن غايتها ، انحرف الشباب بتأثيرها .. وكان عاقبة أمره خسرا .

ولقد شاهدت في الأسبوع الماضي قصة على الشاشة البيضاء تزين للفتاة الهرب من بيت الأب ، إلى حضن الخليل .. فهربت بطلة القصة من بيت أبيها مع ابن البقال الذي يقع حانوته بنفس العمارة التي تسكنها .. ومن أسف أن معظم أفلامنا المصرية تدور حول الحب .. ولا شيء غير الحب !

إن الأفلام الأجنبية لا تخلو من نقد اجتماعي ، أو تحليل لمشكلة من المشاكل ، أما أفلامنا فلا تصلح موضوعا غير موضوع الغرام .. والخيانة .. والهجران !

إن التربية الصحيحة تحتم على كل والد أن يتخير لأبنائه وبناته الكتب التي يقرأونها ، والأفلام التي يشاهدونها ، تجنبا لما تجره علينا الكتب السامة والأفلام الخليعة من ويلات اجتماعية .. شفقة على أبنائنا وبناتنا من شرورها وآثامها !

عيسى متولي

أنصر أخاك ظالما أو مظلوما :

جاء في مقال الأستاذ أحمد حسن عبد الرحيم « شعر الحماسة عند العرب » المنشور في العدد ٩٠٦ من مجلة الرسالة الزاهرة قوله :

« ولقد تمكن حب الحرب من نفس العربي ، وساد نظام (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما) . وأصبحت الحرب عندهم من الأماني الثلاث العزيزة التي لولاها لا يحفل الإنسان بحياته » . ولست أرى مسوغا لإيراد هذا الحديث الشريف في هذا المقام لأنه

إلا أن يعني الأستاذ منه أن يكون الإنسان بجانب أخيه ناصراً ومعيناً، ومشايعاً ومعاضداً ظالماً كان أو مظلوماً وفي هذا خروج بالحديث الشريف عن معناه، وانحراف عن مقصده ومرماه، وحسبنا أن نروي الحديث بنصه دون تعليق : —

روى البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق يديه »

عبد الحكيم عطيه هاشم
ناظر مدرسة سرابيوم الأولية

(الرسالة)

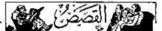
أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً مثل جاهلي قديم كان يراد به ما ذكره الأستاذ صاحب المقال فلما جاء الإسلام لم يكن ما يريده الجاهليون من هذه العبارة وفسرها الرسول الكريم بما يتفق مع مبادئ الدين

سلطان الظلام : مسرحية للأستاذ عادل الغضبان :

محاولة تستحق التشجيع لا لنضجها الفني وكمالها المسرحي فحسب ؛ بل لأنها تشق طريقها بين مختلف المعوقات البيئية والذوقية ؛ البيئة الأزهرية بحكم تقاليدها لا تهتم لهذا اللون الأدبي ولا تفسح له بين ألوان الفنون الأدبية التي تعالجها ؛ بل دعا ساقتها بعض التيارات إلى أن تأخذ على هذا اللون من الإنتاج الأدبي الطريق . ذاهبة مذاهبها المختلفة في تسويغ مسلكها مع ما لهذا اللون من الأثر العميق من الناحية السيكولوجية والاجتماعية والأدبية ؛ ففي الناحية السيكولوجية يأتي تأثيره من تنبيهه أكثر من جانب في الشخصية الإنسانية فهو يخاطب خيالها ؛ ويؤثر على حسها فيكون أثره أقوى وسحره أشد وقد استعانت به التربية في صقل الجانب الوجداني فاتخذته وسيلة ناجحة في — إقرار الخير في النفوس ، واقتلاع الشر من الرءوس ، وتغذية القلوب المريضة بالعواطف النبيلة بتصوير مثلها العليا كما في المأساة ؛ وإصلاح الفاسد ؛ وتقويم المعوج من العادات والأخلاق باتخاذ لها مضحكة للناس كما في الملهاة —

ومن الناحية الأدبية فهي الآن تكاد تكون محور النشاط الأدبي . ومن الناحية الاجتماعية فمنذ أن أصبحت الطبقة الوسطى والدنيا تحتل مكانتها بفضل التضامن الاجتماعي والوعي العام وتخلص المسرح من طغيان أهل الدالة ؛ وانتقل من الحماية إلى الواقعية وأصبح المسرح مسئولاً عن تزويد المشاهد بالأفكار السليمة والأخذ بيده في كثير من مشكلاته النفسية والاجتماعية صارت له رسالته الجليلة في هذا العصر . وليس أقتل لأمثال تلك البوادر كثير من الأشاعة ومحاربة النص أمام النفوس الأزهرية الناهضة من رسالتها ، وقد التقى المؤلف بكثير من الدواعي المثبطة . ولكنه قد ظهر عليها وتخطاها ؛ وأخرج هذه المسرحية التي تصور فترة تعرض فيها الشرق لأعاصير التتار والصليبيين والدور الذي اضطلع به العلماء . وقد اصطنع المؤلف في إخراج هذه المسرحية أصدق الأحداث التاريخية ومأثور الأقوال على لسان الأبطال وقد اجتهد في تصوير شخصيات مسرحيته على ما حفظه التاريخ من جوانبهم النفسية والفكرية . وقد وفق في إبراز ذلك الصراع النبيل الذي قام به العلماء والذي يشهد لهؤلاء العلماء بما لهم من اليد على الشرق والشرقيين

محمد عبد الحليم أبو زيد
دبلوم في التربية وعلم النفس
ومدرس اللغة العربية بمدارس الأميرية



الشعر

لموباسان أطونيو دي تروبا

للأستاذ م . أمين « البندق »

لصاحبي يوسف أرض غير وسيعة ، فيللا أخريوزا بناحية من نواحي إيدوبا ، فهو يقضي فيها من زمان الربيع أياماً ، ومن الصيف أياماً ، ويصب جهده على الزرع ، يحدوه شديد الميل أكثر مما تحدوه الحاجة

وقد جرى على حنة امرأة يوسف ، وهي أفضل الأزواج والأمهات شيء كالذي يجري على شخص من الشخوص في قصة من القصص المسرحي طوى الحياة كلها وهو يمثل ، وما أحس قط أن له على التمثيل قدرة واسعة ، فلا أن يكون لها شبيه . ذلك أن حنة كانت مدى العمر شاعرة ، وهي لا تعلم ، بينا الكثيرات غيرها قد لبسن لبوس الشعر وليس بينهن وبين الشعر أوهى سبب

كان النهار نصف يوم أشبه من أيام يونيو ساقه أمر حين ألقت إلى بيت صاحبي يوسف ، وإذ رآني ايون كابه وكان هو الآخر من صحبي بادر إلى يلقاني وأنا ما زلت على مبعدة من الدار ، وراح يحييني بالوثب واللعب . وبلت شجيرة من أشجار الكريز كانت تراءى على حائط البستان تستهوي بأثمارها قلوب العصافير ، فضربتني على فمي حتى أذكر أنها هنالك قد أطلت . ولما أن صعدت السلم بدا لي أن أسمع قراءة ، إلا أن خطاي قد جعلتها تنقطع

وكانت ثم شجيرة رائعة الجمال يهبط منها الهابط إلى البستان على سلم صغير من الخشب ، فوقه كرمة مفروشة تلقي عليه الظلال ، وقعدت المليرة حنة ومريم ولويجي وبيترو معاً . وكانت حنة منهمكة تخيط ثوباً ، وكانت مريم وهي صبية في الخامسة عشرة وجهها الوضاح تنبت لو أن أماسي في كل ناحية ، وقد أمسكت بكتاب وأطلقته قليلاً . وأما لويجي وبيترو ، وهما طفلان بين الرابعة والسادسة ، فقد كانا يسائلان رأس تمثال من الطباشير ليفصلاه عن سائر الجسد

ورآني الطفلان فعادوا إلى لقائي ، وسألتهما أكاسين الطيبين الهادئين ؟ فكان جوابهما أن أماسيا لا تزعج بعثت إليهما بالحلوى !

وألقيت التحيات وألقت عليّ التحيات . ثم قالت لي حنة إن زوجها قد ذهب إلى السوق في سكان لا أمر به غير أنهم ينتظرون عودته في نفس الليلة

— أكنتم تقرأون ؟

— أجل

— وماذا كنت تقرئين يا مريم ؟

— كتاباً من الشعر ألفه شاعر في مدريد

— ومن هذا الشاعر ؟

— شاعر يأتي كل عام لينصب الزوارق يوم عيد النيران

— أشاعر ينصب الزوارق ؟ إنه أصابك الخبل

— نعم ينصبها ، وما ذاك إلا أنه مولع بصناعة النور

— إذن فما هو بالشاعر

— بل إنه لشاعر

— وكيف علمت أنه شاعر ؟

— إنه إذ يتحدث فحديثه النظم ، وإذ يكتب لا يكتب شيئاً سوى النظم

فأخذت الكتاب الذي كان في يد مريم فقرأت فيه بعض الأبيات . ولما كان القليل يدل على الكثير فقد قلت لها :

— إني لا أراه شاعراً ولا أرى في هذا الكتاب شعراً

— وماذا فيه إذن ؟

— فيه النظم

ومن كان الشعر والنظم إلا شيئاً واحداً ؟

— والنى ، الواحد

إنى أراك تسخر منى يا أطون . أليس الشعر والنظم شيئاً واحداً ؟

— كلا . فقد يكون في الكتاب نظم ولا يكون فيه شعر ، وقد يكون فيه الشعر دون النظم

— رويدك . فما النظم إذن ؟

— إنى أود لو أسألك سؤالاً قبل أن أجيب . مريم كم عندها من الثياب ؟

— عندها من الجديد ثوبان ، أحدهما أخضر لو نوالآخر أزرق

— وأى الثوبين أحب لها ؟

— الأزرق ، والحالة الجامعة لا تنقل عن ذلك ، فهي تؤثر أن تلبس الأزرق دون الأخضر

— إذن فاعلمى أن الشعر ليس له غير ثوبين يناسبانه . أحدهما النثر والآخر النظم . ولما كان النظم أحب له من النثر فهو يؤثر الأول على الآخر

— وإذ لم يكن النظم هو الشعر ، وإنما هو الشكل الذى يناسبه أكثر مما يناسبه سواه ، فما الشعر إذن ؟

وأنه حنة لتطارح على هذا السؤال إذ تسمع صوتاً ضعيفاً ناحية السلم يهتف :

— حسنة لله . فليس لى أب ولا لى أم .

فيبادر لويجى وبيبينو إلى السلم :

أماه ! إنها طفلة تأكل رأس كرنبة . ألا ما أضيعها !

— أوقلاها

وما هو إلا أن دخلت الحجرة طفلة فى السادسة أو نحوها تكاد أن تكون عارية ، وهى تنهش بأسنانها حقاً فى رأس كرنبة فقالت حنة وهى تنزع من يد الطفلة ذلك الرأس وتمضى بها نحو المطبخ :

— لم ذا كانت هنا القذر ؟

فأجابتها الطفلة وعيناها تدريان بالدمع :

— إنى جائعة

فنهضت مريم وعطفت حنة ، فى آن معاً :

— الله المسكينة !

ثم سألتها حنة :

— من أين أقبلت ؟

— من القلشا نيرو

— وأبواك ؟

— ليس لى أب ولا أم . فقد ماتا من الكوليرا

فهتفت حنة :

— أوّاه يا بنية !

وجادت بالدموع السواجم عيناها وهى تقبل الطفلة ، دون أن تبالى بأقذار كستها . وقالت :

— ليت الله كان أخذ الصغيرة حين أخذ أبويها ! ألا يا بؤسى لها !

وأسرعت حنة إلى المطبخ وهى تؤثر الزفرات الحرى ، قد لبثت أن أحضرت طبقاً من الثريد بأحسن ما كان عندها من الحساء ، وجاءت تمشي به إلى الطفلة ، ومعه قطعة من اللحم ضخمة ، وعنقود من العنب .

ثم انطلقت ، والطفلة مقبلة على الطعام ، تراحت تبحث عن رداء وثياب أخرى كانت مريم وهى فى سن الطفلة قد كفت عن لبسها وهى لم تزل جديدة ، وما ذاك إلا أنها كانت ضيقة

فلما فرغت اليتيمة من طعامها هدأت لها وجومها وبدلت لها أطمارها بتلك الثياب ثم شيعتها بالدعاء والرفق الجميل المذب

وعادت تسل ما انقطع فهتفت :

— لنستأنف حديثنا . ما الشعر ؟

فأجبتها :

— الشعر هو هذى الدموع التى لا تزال تندى بها عيناك ، وهذى الزفرات التى تصاعد الآن من صدرك ، وكل ما يختلج فى قلبك هذه الساعة

فقالت :

آه !

نطقت بها همساً ، وقد بدأت تدرك شيئاً مما كنت أحاول أن أشرحه

حم — البدع

(البحق)